تفسير

سورة الجن[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

١ . ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ ﴾ الآية ، قال ابن[٢] عباس[٣] :

---

(١) مكية بإجماعهم . وقد نقل الإجماع في ذلك ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٨ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ١٠٣ ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١١ ، والشوكاني عن القرطبي في فتح القدير ٥/ ٣٠٢ .

(٢) بياض في (ع) .

(٣) جاءت هذه الرواية مطولة من طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في البخاري ١/ ٢٥٠ ح ٧٧٣ ، كتاب الأذان ، باب الجهر بقراءة صلاة الفجر ، و٣/ ٣١٦ : ح ٤٩٢١ كتاب التفسير ، باب سورة (قل أوحي إلي) . ومسلم ١/ ٣٣٠ ح١٤٩ ، كتاب الصلاة ، باب الجهر بالقراءة في الصبح ، والقراءة على الجن . والترمذي ٥/ ٤٢٦ : ح ٣٣٢٣ ، كتاب التفسير ، باب ومن سورة الجن ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح . وتفسير النسائي ٢/ ٤٦٧ ح ٦٤٤ . والمستدرك ٢/ ٥٠٣ ، كتاب التفسير ، تفسير سورة الجن ، وصححه ، ووافقه الذهبي ، والرواية كما هي عند البخاري والترمذي : «عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عُكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين ، فقالوا : ما لكم ؟ فقالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشُّهب . قال : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الأمر =

«كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل ، ويقرأ القرآن ، مر به نفر[١] من الجن ، فاستمعوا إليه ، وإلى قراءته ، ودنا[٢] بعضهم من بعض حبّاً للقرآن ، حتى كادوا أن يركبوا

= الذي حدث ، فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء ؟ قال : فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة ، وهو عامد إلى سوق عكاظ ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن تسمعوا له ، فقالوا : هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء ، فهنالك رجعوا إلى قومهم ، فقالوا : يا قومنا إنا سمعنا قرآناً عجباً ، يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً ، وأنزل الله ـعز وجلـ على نبيه ﷺ : ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ ، وإنما أوحي إليه قول الجن» .

كما أوردها ابن جرير في جامع البيان ٢٩/ ١٠٢ ، ١٠٣ ، وانظر : لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ٢٢٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١ ، ٢ ، ولباب التأويل ٤/ ٣١٥ ، والدر المنثور ٨/ ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، وعزاه إلى أحمد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، والطبراني ١٢/ ٥٢ ، رقم (١٢٤٤٩) ، وابن مردويه ، وأبو نعيم ، والبيهقي معاً في الدلائل عن ابن عباس ٢/ ٢٢٥ من طريق أبي عوانة .

(١) غير مقروء في (ع) .

(٢) دنا : يقال : دنا منه ، ودنا إليه ، يدنو دنوّاً : قرب ، فهو دان .

المصباح المنير (دنا) ١/ ٢٣٩ ، وانظر : النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٢/ ١٣٧ .

رسول الله ﷺ[١] ، وآمنوا به ثم رجعوا إلى قومهم ، وقالوا : ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ ، يعني بليغاً» .

وذكرنا سبب إتيان[٢] الجن إياه عند قوله : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الأحقاف :٢٩] الآية[٣] .

وقال مقاتل : «﴿قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ يعني عزيزاً لا يُوجد مثله»[٤] .

والمعنى : قرآناً ذا عجب ، يُعجَب منه لبلاغته وعدم مثله ، ثم وَصَفوا ذلك القرآن ، وهو قوله :

٢. ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ .

قال عطاء : «إلى الإيمان بالله»[٥] ، وقال الكلبي : «يدعو إلى الصواب من الأمن من لا إله إلا الله»[٦] ، وقال[٧] مقاتل : «يدعو إلى التوحيد»[٨] .

---

(١) قاله ابن عباس . انظر : الوسيط ٤/ ٣٦٣ .

(٢) في (أ) : (الأتيان) .

(٣) ومما جاء في تفسيرها : «قال المفسرون : لما أيس رسول الله ﷺ من قومه أهل مكة أن يجيبوه ، خرج إلى الطائف ليدعوهم إلى الإسلام ، فلما انصرف إلى مكة فكان ببطن نخلة ، قام يقرأ القرآن في صلاة الفجر ، مر به نفر من أشراف جن نصيبين ، كان إبليس بعثهم ليعرف السبب الذي أوجب حراسة السماء بالرجم ، فدفعوا إلى النبي ﷺ ، وهو يصلي ، فاستمعوا لقرآنه .
وقال آخرون : بل أمر رسول الله ﷺ أن ينذر الجِنَّة ، ويدعوهم إلى الله ، ويقرأ عليهم القرآن ، فصرف إليه نفراً من الجن ليستمعوا منه ، وينذروا قومهم» .

(٤) تفسير مقاتل ٢١١/ ب ، وورد بمثله في بحر العلوم ٣/ ٤١٠ من غير عزو .

(٥) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٦) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٧) في (أ) : (قال) .

(٨) الذي ورد في تفسيره ٢١١/ ب : «قال :يدعو إلى الهدى» ، وقد ورد بنحوه من غير عزو في بحر العلوم ٣/ ٤١٠ .

﴿ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾ قال الكلبي : «بطاعة ربنا أحداً ، يعنون إبليس ، وذلك أنه بعثهم ليعرف سبب حراسة السماء بالنجوم ، فخرجوا يضربون في الأرض ، فمروا[١] برسول الله ﷺ[٢] ، وهو يقرأ القرآن ، فاستمعوا إليه ، وآمنوا ، ولم يرجعوا إلى إبليس»[٣] .

٣ـ٤ . قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا ﴾ قرئ : ﴿ وَأَنَّهُۥ ﴾ ، وكذلك ما بعده بالكسر ، والفتح[٤] ، والاختيار الكسر ؛ لأنه من قول الجن لقومهم ، فهو معطوف على قوله : ﴿ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا ﴾ ، وقالوا : (إنه تعالى[٥] جد ربنا) ، وأما من فتح ، فقال الفرَّاء : «أما الذين فتحوا فإنهم ردوا (أن) في كل السورة على قوله : (فآمنا به) ، وآمنا بكل ذلك ، ففتحوا (أن) بوقوع[٦] الإيمان عليها ، وأنت مع ذلك تجد الإيمان[٧] يحسن في بعض ما فتح ، ويقبح في بعض ، ولا[٨] يمنعك ذلك من إمضائهنَّ على

---

(١) غير واضحة في (ع) .

(٢) ساقطة من (أ) .

(٣) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٤) قرأ ابن عامر ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف ، وحفص بفتح الهمزة فيهن ، ووافقهم أبو جعفر في ثلاث : ﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ ﴾ ، ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ ﴾ ، ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ ﴾ .
وقرأ الباقون بكسرها في الجميع ، واتفقوا على فتح ﴿ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ ﴾ ، ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ ﴾ .
قال ابن الجزري : «لأنه لا يصح أن يكون من قولهم ، بل هو مما أوحي إليه ﷺ ، بخلاف الباقي ، فإنه يصح أن يكون من قولهم ، ومما أوحي ، والله أعلم» . النشر في القراءات العشر ٢/ ٣٩١ ، ٣٩٢ .
وانظر : مراجع قراءة الفتح والكسر كتاب السبعة ٦٥٦ ، والقراءات وعلل النحويين فيها ٢/ ٧١٩ ، والحجة ٦/ ٣٣ ، والمبسوط ٣٨٣ ، وحجة القراءات ٧٢٧ ، والكشف عن وجوه القراءات السبع ٢/ ٣٢٩ .

(٥) في (أ) : (على) .

(٦) وردت في معاني الفرَّاء : (لوقوع) .

(٧) في (أ) : (الإنسان) .

(٨) في (ع) : (فلا) .

الفتح ، فإن الذي يقبح من ظهور الإيمان قد يحسن فيه فعل مضارعٌ للإيمان[١] يوجب فتح (أن) نحو : (صدقنا) ، و(شهدنا)»[٢] .

وقال أبو إسحاق : «من حمل[٣] : ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ على قوله : ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ يقول : فآمنا به ، وبأنه تعالى جد ربنا ، وكذلك ما بعده ، وهو رديء في القياس ، لا يُعطف على (الهاء) المخفوض إلا بإظهار الخافض ، ولكن وجهه أن يُحمل على معنى : (آمنا به) ، لا على لفظ : (آمنا به) ، ومعنى[٤] آمنا به : صدقناهُ ، وعلمناه ، ويكون المعنى : وصدقنا أنه تعالى جد ربنا»[٥] .

وقال أبو علي : «من قرأ بالفتح ، فإنه على الحمل على (أوحي)[٦] ، وهذا ضعيف جدّاً[٧] ؛ لأن المعنى على الإخبار على الجن[٨] أنهم قالوا : (وأنه تعالى جد ربنا) ، (وأنه كان يقول) ، وليس المعنى على أوحي إلي (أنه تعالى جد ربنا) ، (وأنه كان يقول سفيهنا) ، إلا أن بعض ما فتح من (أن) في هذه السورة يحسن حملها على

---

(١) في (أ) : (الإيمان) .

(٢) إلى هنا انتهى قول الفرَّاء في معاني القرآن ٣/ ٣٩١ ، ٣٩٢ ، وقد نقله عنه الإمام الواحدي بتصرف .

(٣) في (أ) : (جعل) .

(٤) في (أ) : (معنا) .

(٥) إلى هنا انتهى قول الزَّجَّاج في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٣٤ ، وقد نقله عنه بتصرف .

(٦) الحجة ٦/ ٣٣٢ .

(٧) لأنه ينقص المعنى ويغيره . إذا حملت سائر الآيات في الثلاثة عشر موضعاً من هذه السورة ، والتي من قول : ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ﴾ إلى قوله : ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ على ما قبلها من قوله : ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ﴾ ، وذلك لأنه لا يحسن أن يقال : وأوحي إلي أنه لما قام عبدالله ، ولا يحسن وأوحي إلي أنه كان يقول سفيهنا على الله شططاً . قاله مكي بن أبي طالب في الكشف ٢/ ٣٤١ .

(٨) في (أ) : (الحق) .

(أوحي)[١] ، ونذكر ذلك في موضعه[٢] ، ولكـــن ليس يطرد حمل فتح ما اختلف فيه على الوحي»[٣][٤] .

واختلفوا في معنى قوله : ﴿ جَدُّ رَبِّنَا ﴾ : فالأكثرون على أن المعنى : جلال ربنا وعظمته ، وهو قول مجاهـــد[٥] ، ومقاتل[٦] ، (وعكرمة[٧] ، وقتادة[٨] ، والمبرِّد[٩] ، والزَّجَّاج[١٠])[١١] ، وجميع أصحاب العربية[١٢] .

---

(١) قال مكي : «وحجة من فتح الثلاثة عشر أنه عطف على ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ﴾ ، فلما عطف على ما عمل فيه الفعل فتحه كله» الكشف : مرجع سابق .

(٢) عند الآية : (٦) من هذه السورة .

(٣) لأن المعنى في فتح (أن) على العطف على (الهاء) أتم وأبين منه إذا عطفت على ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ﴾ . مرجع سابق .

(٤) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٥) جامـــع البيان ٢٩/ ١٠٤ ، والكشـــف والبيان : جـ ١٢ ١٩٢ / ب ، ومعـــالم التنزيل ٤/ ٤٠١ ، وزاد المسير ٨/ ١٠٥ ، والجامع ١٩/ ٨ ، وتفسير ابن كثير ٤/ ٤٥٧ .

(٦) تفسير مقاتل ٢١١/ ب ، بنحوه ، وزاد المسير ٨/ ١٠٥ .

(٧) جامع البيان ٢٩/ ١٠٤ ، والكشـــف والبيان : جـ ١٢/ ١٩٢/ ب ، ومعـــالم التنزيل ٤/ ٤٠١ ، وزاد المسير ٨/ ١٠٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٥٧ .

(٨) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٤٨٩ ، والنكت والعيون ٦/ ١١٠ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٠١ ، والجامع للقرطبي ١٩/ ٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٥٧ .

(٩) لم أعثر على مصدر لقوله .

(١٠) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٣٤ .

(١١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(١٢) حكاه الفرَّاء عن مجاهد . انظر : معاني القرآن ٣/ ١٩٢ .

والجد معناه في اللغة : العظمة ، يقال : جد فلان ؛ أي عظم[١] ، ومنه الحديث : «كان الرجل إذا قرأ سورة البقرة جدَّ فينا[٢] ؛ أي جل قدره وعظم»[٣] .

وقال الحسن : «(جد ربنا) أغناه»[٤] ، والجد يكون بمعنى الغنى ، ومنه الحديث : «لا ينفع ذا الجد منك الجد»[٥] ، وكذلك الحديث الآخر : «قمت

---

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة (جد) ١/ ٤٠٦ ، وتهذيب اللغة ١٠/ ٤٥٥ ، والصحاح ٢/ ٤٥٢ ، وإصلاح المنطق ٢ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد ٣/ ١٢٠ ، ١٢١ من طريق أنس ـرضي الله عنهـ مطولاً ، ونص الشاهد : «وكان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا ، يعني عظم» .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٤) الكشف والبيان : ج ١٢/ ١٩٢/ ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٠٠ ، وزاد المسير ٨/ ١٠٥ ، والقرطبي ١٩/ ٨ ، والدر المنثور ٨/ ٢٩٨ وعزاه إلى عبد بن حميد .

(٥) أخرجه البخاري ١/ ٢٧١ ح ٨٤٤ ، كتاب الأذان ، باب الذكر بعد الصلاة ، وكتاب القدر ، باب لا مانع لما أعطى الله ٤/ ٢١٢ : ح ٦٦١٥ ، وكتاب الاعتصام ، باب ما يكره من كثرة السؤال ٤/ ٣٦٢ ، ح ٧٢٩٢ ، ومسلم ١/ ٣٤٣ : ح ١٩٤ ، كتاب الصلاة ، باب اعتدال أركان الصلاة ، وباب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع : ح ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، كتاب المساجد ، باب استحباب الذكر بعد الصلاة (ح) ١٣٧ ، ١٣٨ ، وأبو داود ١/ ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، كتاب الصلاة ، باب ما يقول الرجل إذا سلم من الصلاة . ومالك في الموطأ ٢/ ٦٨٧ ، كتاب القدر ، باب ما جاء في أهل القدر ، والدارمي في سننه ٧١ـ٨٨ ، والترمذي ٢/ ٩٧ : ح ٢٩٩ ، كتاب الصلاة ، باب ما يقول إذا سلم من الصلاة ، والنسائي ٢/ ٥٤٤ ، ٥٤٥ : ح ١٠٦٧ ، في كتاب التطبيق ، باب ما يقول في قيامه ذلك ، وفي كتاب السهو ، باب نوع آخر من القول عند انقضاء الصلاة ٣/ ٧٩ ، ٨٠ : ح ١٣٤٠ ، ١٣٤١ ، وباب نوع آخر من الدعاء عند الانصراف من الصلاة ٣/ ٨٢ : ح ١٣٤٥ ، والإمام أحمد في المسند ٣/ ٨٧ ، و٤/ ٩٣ ، و٩٧ ، و١٠١ ، و٢٤٥ ، و ٢٤٧ ، ٢٥٠ ، و٢٥٤ ، و٢٨٥ .

قال النووي : «والصحيح المشهور : الجد بالفتح وهو الحظ ، والغنى ، والعظمة ، والسلطان ، أي لا ينفع ذا الحظ في الدنيا بالمال والولد والعظمة والسلطان منك حظه ؛ أي لا ينجيه حظه منك ، وإنما ينفعه وينجيه العمل الصالح ، كقوله تعالى : ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ﴾ [الكهف :٤٦] ، والله تعالى أعلم» . شرح صحيح مسلم ٤/ ٤٤١ ، وانظر قوله في : عون المعبود ، شرح سنن أبي داود للآبادي ٤/ ٣٧٢ .

على باب الجنة فإذا عامة من يدخلها الفقراء ، وإذا أصحاب الجد[١] محبوسون» (يعني)[٢] ذوي الحظ[٣] في الدنيا»[٤][٥] .

والمعنى : وجميع ما ذكر من الأقوال يعود إلى معنى : القولين اللذين ذكرنا . (روي عن قتادة : «تعالى أمره»)[٦][٧] .

قال أبو[٨] عبيدة : «ملكه وسُلطانه»[٩] .

وعن القرظي : «آلاؤه ونعمه»[١٠] .

---

(١) في (أ) : (الجنة) .

(٢) ساقطة من (أ) .

(٣) في (أ) : (الخطة) .

(٤) الحديث أخرجه البخاري في الجامع الصحيح ٣/ ٣٨٨ ح ٥١٩٦ من طريق أبي عثمان عن أسامة عن النبي ﷺ قال : «قمت على باب الجنة ، فكان عامة من دخلها المساكين ، وأصحاب الجَدِّ محبوسون ، غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار ، وقمت على باب النار ، فإذا عامة من دخلها النساء» .

(٥) ما بين القوسين تناول المعنى اللغوي لـ (الجد) انظر : معجم مقاييس اللغة (جد) ١/ ٤٠٦ ، وتهذيب اللغة ١٠/ ٤٥٥ ، والصحاح ٢/ ٤٥٢ ، ولسان العرب ٣/ ١٠٨ ، وإصلاح المنطق ٢٢ .

(٦) تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٢١ ، وعبارته : «تعالى أمر ربنا ، تعالت عظمته» ، وجامع البيان ٢٩/ ١٠٤ ، والنكت والعيون ٦/ ١١٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٥٧ ، والدر ٨/ ٢٩٨ وعزاه إلى عبدالرزاق ، وعبد بن حميد ، وفي جميعها بنحو ما ورد في تفسير عبدالرزاق .

(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٨) في (أ) : (أبوا) .

(٩) مجاز القرآن ٢/ ٢٧٢ ، نقله عنه بتصرف ، وعبارته : «علا ملكُ ربِّنا وسلطانه» .

(١٠) الكشف والبيان ١٢/ ١٩٢/ ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٠١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ٨ ، وفتح القدير ٥/ ٣٠٤ .

وعن مجاهد : «ذكره»[١] .

وكل هـذا معناه يعود إلى جلالـه ، وعظمته ، وغناه ، وقـول من قال : إن الجن قالت (هذه)[٢] بالجهالة[٣] لا يصح[٤] ؛ لأنهم لو قالوه بالجهل لأنكر عليهم (ولَمَّا)[٥] أخبر الله بذلك عنهم في القرآن .

فأما ما روي عن ابن عباس أنه قال : «لو علمت الجن أن في الإنس جدّاً[٦] ما قالت : تعالى جد ربنا»[٧] ، فهذا محمول على أن هذا اللفظ مُوهم ، وكان[٨] الأولى بهم أن يجتنبوا إطلاقه في وصف الله ، وإن (كان)[٩] بمعنى جائز في وصفه .

---

(١) جامع البيان ٢٩/ ١٠٥ ، والكشف والبيان ١٢/ ١٩٢/ ب ، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٧٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٥٧ ، والدر المنثور ٨/ ٢٩٨ ، وعزاه إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٢) ساقطة من (أ) .

(٣) في (أ) : (بجهالة) .

(٤) وممن قال بهذا القول علي بن الحسين ؛ أبو جعفر الباقر ، وابنه جعفر ، والربيع بن أنس . انظر : جامع البيان ٢٩/ ١٠٤ ، والكشف والبيان ١٢/ ١٩٢/ ب ، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٧٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ٨ . وقد وصف الكرمانى هذا القول بأنه عجيب وضعيف وبعيد . انظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل ٢/ ١٢٦٠ ، وقال ابن عطية ٥/ ٣٧٩ : «قال كثير من المفسرين : هذا قول ضعيف» .

(٥) ساقطة من (أ) .

(٦) في (أ) : (أحداً) .

(٧) الكشف والبيان ١٢/ ١٩٢/ ب ، وغرائب التفسير ، وقد وصفه بما وصف سابقه من القول بالجهالة ، وتفسير ابن كثير ٤/ ٤٥٧ ، وقال ابن كثير : «إسناد جيد ، لكن لست أفهم ما معنى هذا الكلام ، ولعله قد سقط شيء ، والله أعلم» .

(٨) في (ع) : (فكان) .

(٩) ساقطة من (أ) .

وقال أبو إسحاق : «تعالى جد ربنا وعظمته[١] عن أن يتخذ صاحبة وولداً»[٢][٣] ، وهو قوله : ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ قال ابن عباس : «يريد المشركين من الجن»[٤] ، وهو قول مقاتل : «يعني كفارهم»[٥] .

وقال مجاهد[٦] ، (وقتادة)[٧][٨] : «هو إبليس» .

---

(١) في (أ) : (وعظمت) .

(٢) وردت في (ع) : (وولداً وصاحبة) .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٤٣ بنصه .

(٤) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٥) زاد المسير ٨/ ١٠٥ ، ومعنى السفه في اللغة : الخفة ، انظر : معجم مقاييس اللغة ٣/ ٧٩ ، وتهذيب اللغة ٦/ ١٣١ .

وقال الراغب : «السفه : خفة في البدن ، ومنه قيل : زمام سفيه : كثير الاضطراب ، وثوب سفيه : رديء النسيج ، واستعمل في خفة النفس لنقصان العقل ، وفي الأمور الدنيوية ، والأخروية ، فقيل : سَفه نفسه ، وأصله : سفه نفسه ، فصرف عنه الفعل نحو : بطر معيشته ، وقال في الأخروي : ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴾ فهذا من السفه في الدين» ، المفردات ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

(٦) جامع البيان ٢٩/ ١٠٧ ، والكشف والبيان ١٢/ ١٩٢/ ب ، والنكت والعيون ٦/ ١١٠ ، والجامع للقرطبي ١٩/ ٩ ، وتفسير ابن كثير ٤/ ٤٥٧ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٨/ ٢٩٨ وعزاه إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وانظر : فتح القدير ٥/ ٣٠٤ .

(٧) المراجع السابقة ، ورواه صاحب الدر بمعناه عنه وعزاه إلى عبد بن حميد .

(٨) ساقطة من (أ) .

وقولــه تعــالى : ﴿ عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴾ ، أي كذبــاً ، وجوراً ، وهــو و[١] صفه بالشريك ، والصاحبة ، والولد . قاله المفسرون[٢] . وتفســير (الشطط) قد تقدم عند قوله : ﴿ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾[٣] [الكهف :١٤] .

٥. قوله تعــالى : ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾[٤] : أن الإنس والجن كانوا لا يكذبون على الله بأن له شريكاً وصاحبة وولداً ؛ أي كنا نظنهم صادقين حتى سمعنا القرآن . هذا قول المفسرين[٥] .

---

(١) الواو ساقطة من النسختين ، وأثبتها لاستقامة المعنى ، وهكذا وردت أيضاً في الوسيط ٤/ ٣٦٣ ، وزاد المسير ٨/ ١٠٥ .

(٢) ممن قال بمعنــى ذلك ابن قتيبة ، قال : «أي غلوّاً في الكذب والجور» ، تأويل مشــكل القرآن ٤٢٧ ، وعن ابن زيد قال : «ظلماً» ، جامع البيان ٢٩/ ١٠٧ .
وعن الكلبي : «كذباً» ، وعن أبي مالك : «جوراً» . انظر : النكت والعيون ٦/ ١١٠ .
وممن قال من المفسرين أيضاً بذلك البغوي ، وابن الجوزي ، والخازن ، وابن كثير . انظر : معالم التنزيل ٤/ ٤٠١ ، وزاد المسير ٨/ ١٠٥ ، ولباب التأويل ٤/ ٣١٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٥٧ .

(٣) وجاء في تفسيرها كما في البسيط : «﴿ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾ ؛ أي كذباً وجوراً ، قاله المفسرون ، ومعنى الشطط في اللغة : مجاوزة القدر» .
قال الفرَّاء : «يقال : أشــط في اللوم إذا جاوز القدر ، ولم أســمع إلا أشطَّ يشــط أشطاطاً وشططاً» .
وحكى الزَّجَّاج وغيره : «شط الرجل وأشط ، إذا جاوز ، ومنه : (وَلا تُشْطِطْ) ، ومثله : أشط ، وأصل هذا من قولهم : شطت الدار إذا بعدت ، فالشطط في القول بعد عن الحق» .
وانظر : المعنى اللغوي ، وهو مجاوزة المحدود ، والتباعد عن الحق (شــطط) في الصحاح ٣/ ١١٣٧ ، واللسان ٧/ ٣٣٤ ، وتاج العروس ٥/ ٦٩١ .

(٤) وردت في (ع) : (إنا ظننا) الآية .

(٥) وهو قول الثعلبي نقله عنه بنصه . انظر : الكشــف والبيان ١٢/ ١٩٢/ ب ، وممن ذهب من المفسرين إلى هــذا القول : الطبري ، والســمرقندي ، والبغوي ، وابن الجــوزي ، والقرطبي ، والخازن ، وابن كثير . انظر : جامع البيان ٢٩/ ١٠٧ ، ١٠٨ ، وبحر العلوم ٣/ ٤١١ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٠٢ ، وزاد المسير ٨/ ١٠٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٩ ، ولباب التأويل ٤/ ٣١٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٥٧ .

قال ابن قتيبة : «يقول : كنا نتوهم أن أحداً لا يقول على الله باطلاً ، يريدون أنا كنا نصدقهم ، ونحن نظن أن أحداً لا يكذب على الله ، وانقطع هاهنا قول الجن»[١] .

٦. قال الله جل وعز : ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ (فمن فتح (وأنه) حملها على (أوحي) ، ومن كسر جعلها مبتدأة[٢] من الله تعالى)[٣] .

قوله تعالى : ﴿يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ . قال جماعة المفسرين : كان الرجل في الجاهلية إذا سافر فأمسى في قفر[٤] من الأرض قال : أعوذ بسيد هذا الوادي ، أو بعزيز هذا المكان ، من شر سفهاء قومه ، فيبيت في جوار منهم حتى يصبح[٥] .

---

(١) تأويل مشكل القرآن ٤٢٧ بنصه .

(٢) لأن حقَّها إذا دخلت على الابتداء أن تكسر ؛ لأنها حرف مبتدأ به للتأكيد . قاله مكي . انظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع ٢/ ٣٤١ .

(٣) ما بين القوسين نقلاً عن الحجة بتصرف واختصار ٦/ ٣٣٢ .

(٤) القفر في اللغة المكان الخلاء من الناس . وفي اللسان : «الخلاء من الأرض» . انظر : تهذيب اللغة (قفر) ٩/ ١٢٠ ، ولسان العرب ٥/ ١١٠ . وقال الجوهري : «القَفْر مفازة لا ماء فيها ، ولا نبات ، والجمع : قفار» . الصحاح (قفر) ٢/ ٧٩٧ .

(٥) قال بمعنى ذلك ابن عباس ، والحسن ، وإبراهيم ، ومجاهد ، وابن زيد . انظر : جامع البيان ٢٩/ ١٠٨ ، والنكت والعيون ٦/ ١١١ ، وعزاه إلى عبد زيد فقط .
وقال به ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٤٢٨ ، والسمرقندي ، والثعلبي ، والبغوي ، وحكاه ابن عطية عن جمهور المفسرين ، وابن الجوزي ، والفخر الرازي عن جمهور المفسرين ، والخازن .
انظر : معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٣٤ ، وبحر العلوم ٣/ ٤١١ ، والكشف والبيان ١٢/ ١٩٣/ أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٠٢ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٠ ، وزاد المسير ٨/ ١٠٥ ، والتفسير الكبير ٣٠/ ١٥٦ ، ولباب التأويل ٤/ ٣١٦ .

وقوله : ﴿ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ قال أبو عبيدة : «سفهاً وطغياناً وظلماً»[١] .

وقال الليث[٢] ، وغيره[٣][٤] : «الرهق : جهل في الإنسان ، وخِفَّةٌ في عقله . والرَّهَق : غشيان الشيء ، وفي فلان رهقٌ يغشى المحارمَ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ ﴾ [يونس :٢٦]» ، وقد مر[٥] ، ورجل مُرَهَّقٌ : يغشاه السُّؤَّال والضيفان ، ومنه قول زهير :

ومُـرَهَّـقُ النِّـيرانِ يُحْمَـدُ في اللَّأْواءِ غـيرُ مُـلَعَّـنِ القِدْرِ[٦][٧]

ويقال : رهقتنا الشمس إذا قربت[٨] .

---

(١) مجاز القرآن ٢/ ٢٧٢ ، بزيادة : (وظلماً) .

(٢) تهذيب اللغة ٥/ ٣٩٧ـ٣٩٨ ، نقله عنه باختصار .

(٣) يراد به الأصمعي . انظر : تهذيب اللغة ، مرجع سابق .

(٤) ساقطة من (أ) .

(٥) جاء في تفسير الآية السابقة من الحاشية ١٠ : «ولا يرهق وجوههم ؛ أي لا يغشاها ، يقال : رهقه ما يكره ؛ أي غشيه ، قال ابن عباس : يريد ولا يصيب وجوههم» .

(٦) ورد البيت منسوباً إليه في ديوانه ٢٨ (ط دار صادر) . وانظر : الصحاح (رهق) ٤/ ١٤٨٧ ، ولسان العرب ١٠/ ١٣٠ ، وتاج العروس ٦/ ٣٦٥ .
ومعنى البيت : مرهق النيران : تُغشى نيرانه . اللَّأْواء : الشدة والجهد والضيق . غير ملعن القدر : لا تُسبُّ قِدره لأنه يُطعِم .
انظر : شرح شعر زهير لأبي العباس ثعلب (تحقيق د . فخر الدين قباوة) ٨٠ .

(٧) ما بين القوسين انظر : تهذيب اللغة (رهق) ٥/ ٣٩٧ ، ٣٩٨ .

(٨) جاء في الصحاح ، ويقال : طلبت فلاناً حتى رهقته رهقاً : أي دنوت منه ، فربما أخذه ، وربما لم يأخذه . ٤/ ١٤٨٧ . وفي اللسان ، وأرهقنا الليل : دنا منا ، وأرهقنا الصلاة : أخرناها حتى دنا وقت الأخرى . ١٠/ ١٣٠ :(رهق) . «وأرهقنا الليل : دنا منا ، وأرهقنا الصلاة : أخرناها حتى دنا وقت الأخرى .

ومعنى قول المفسرين يعود إلى هذا ، وهو أنهم قالوا في قوله : (فزادوهم رهقاً) ؛ أي إثماً[١] ، وجراءة[٢] ، وطغياناً[٣] ، وخطيئة[٤] ، وغيًّا[٥] ، وشرًّا[٦] ، كل هذا من ألفاظهم ، والمعنى : أنهم يزدادون بهذا التعوذ طغياناً ، وإثماً ، فيقولون : [سدنا][٧] الجن والإنس .

---

(١) قاله ابن عباس . انظر : جامع البيان ٢٩/ ١٠٩ ، والكشف والبيان ١٢/ ١٩٣/ أ ، والنكت والعيون ٦/ ١١١ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٠٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٥٧ .

(٢) قاله قتادة . انظر : جامع البيان ٢٩/ ١٠٩ ، والكشف البيان ١٢/ ١٩٣/ أ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٥٧ .

(٣) قاله مجاهد . انظر : المراجع السابقة . إضافة إلى النكت والعيون ٦/ ١١١ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٠٢ .

(٤) قاله قتادة أيضاً . انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ١٣٢ ، والكشف والبيان ١٢/ ١٩٣/ أ ، والقرطبي ١٩/ ١٠ ، والدر المنثور ٨/ ٣١٠ ، وعزاه إلى عبد بن حميد .

(٥) قاله مقاتل . انظر : الكشف والبيان جـ : ١٢/ ١٩٣/ أ ، والنكت والعيون ٦/ ١١١ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٠٢ .

(٦) قاله الحسن . انظر : الكشف والبيان جـ : ١٢/ ١٩٣/ أ .
ومن ألفاظهم أيضاً : خوفاً ، قاله ابن زيد ، وأبو العالية ، والربيع . انظر : الكشف والبيان ١٢/ ١٩٣/ أ ، والنكت والعيون ٦/ ١١١ ، والقرطبي ١٩/ ١٠ .
وعظمة : قاله إبراهيم ، انظر : الكشف والبيان ، ومعالم التنزيل : مرجعان سابقان .
وكفر : قاله سعيد ، انظر : النكت والعيون : مرجع سابق .
وأذىً : قاله السدي ، انظر : المرجع السابق . سفهاً . قاله ابن عيسى : مرجع سابق .
وقال الزَّجَّاج : «ذلة وضعفاً» . معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٣٤ .

(٧) في كلا النسختين : (سيدنا) ، وأثبت ما تستقيم به العبارة .

ويجـوز أن يكون المعنـى : زادت الجن والإنس رهقاً ؛ أي ظلماً ، يعني لـمَّا تعوذوا (بهم)[١] استذلوهم ، واجترؤوا عليهم ، فزادوهم ظلماً ، وهذا معنى قول عطاء : «خبطوهم[٢] ، وخنقوهم»[٣] .

فعلى القول الأول : زادوا من فعل الإنس .

وعلى القول الثاني : زادوا من فعل الجن .

٧. قولـه : ﴿ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا ﴾ هذا أيضاً من قول الله عـز وجل ، والكلام في فتـح (أن) وكسرها كما ذكرنا في الآيـة التي قبلهـا[٤] والمعنى أن الله تبارك وتعـالى يقول : (ظن الجن كما ظننتم أيها الإنس أن لا تبعث يوم القيامة[٥] ؛ أي كانوا لا يؤمنون بالبعث ، كما أنكم لا تؤمنون به ، وهذا خطاب من الله للكفار .

---

(١) ساقطة من (أ) .

(٢) خبطوهم : خبطه ، يخبطه : ضَرَبه شديداً .
انظر : القاموس المحيط (خبط) ٢/ ٣٥٦ .

(٣) الخنق : خنقه يخنقه ، من باب قتل ، خنقاً ، والمخنقة : القلادة ، سميت بذلك لأنها تطيف بالعنق ، وهو موضع الخنق .
انظر : معجم مقاييس اللغة (خنق) ٢/ ٢٢٤ ، والصحاح ٤/ ١٤٧٢ ، والمصباح المنير ١/ ٢١٩ .

(٤) يراجع فيها آية ٣ من هذه السورة .

(٥) بمعناه قال السمرقندي في بحر العلوم ٣/ ٤١١ ، والثعلبي في الكشف والبيان ١٢/ ١٩٣/ ب .

وانقطع هاهنا قول الله -عز وجل- فقالت الجن)[١] :

٨. ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ ﴾ قال ابن عباس : «يريد مسسنا السماء»[٢] .

وقال الكلبي : «يقول : أتينا السماء»[٣] .

قال أبو علي : «تأويله عالجنا غيب السماء ، ورمنا استراقه فنلقيه إلى الكهنة[٤] ، وليس من اللمس بالجارحة في شيء»[٥] . وهذا معنى قول الكلبي[٦] .

وقوله تعالى : ﴿ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾[٧] . قال ابن عباس[٨] ، ومقاتل[٩] : «يعني الملائكة» .

والحرس : جمع حارس . و﴿ شَدِيدًا ﴾ يراد به الكثرة ، وذكرنا في مواضع أن فعيلاً قد يكون للكثير[١٠] .

---

(١) ما بين القوسين نقله الواحدي عن ابن قتيبة بنصه . انظرتأويل مشكل القرآن ٤٢٨ ، ٤٢٩ .

(٢) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٣) الوسيط ٤/ ٣٦٥ .

(٤) الكهنة : جمع كاهن ، وهو الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ، ويدَّعي معرفة الأسرار . لسان العرب (كهن) ١٣/ ٣٦٣ ، والنهاية في غريب الحديث والأثر ٤/ ٢١٤ .

(٥) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٦) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٧) كلمة (شهباً) ساقطة من (ع) .

(٨) الدر المنثور ٨/ ٣٠٣ وعزاه إلى ابن مردويه .

(٩) تفسير مقاتل ٢١١/ ب .

(١٠) نحو ما جاء في قوله : ﴿ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء :٨٨] ، وقوله : ﴿ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴾ [الفرقان :٥٥] .

وقوله : ﴿ وَشُهُبًا ﴾ . قال ابن عباس : «يريد النار التي يرجم بها من استرق السمع»[١] .

وقال الكلبي : «ورُمينا بالنجوم»[٢] ، وهذا كقوله : ﴿ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ [الصافات :١٠] ، وقد مر ، وذكرنا الكلام في هذا عند قوله : ﴿ رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾[٣] ، . . . وفي آيات غيرها[٤] .

---

(١) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٢) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٣) سورة الملك :٥ : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴾ . وقد جاء في تفسيرها : «قال ابن عباس : يرجم بها الشياطين الذين يسترقون السمع . قال أبو علي : فإن قيل : كيف يجوز أن تكون المصابيح زينة مع قوله : (وجعلناها رجوماً للشياطين) ؟ فالقول : إنها جعلت لهم لم تزل فتزول الزينة بزوالها ، ولكن يجوز أن ينفصل منها نور يكون رجماً للشياطين ، كما ينفصل من السرج ، وسائر ذوات الأنوار ما لا يزول بانفصالها منها صورتها . وهذا كما قال بعض أهل العربية : ينفصل من الكوكب شهاب نار ، وهذا كقوله : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا ﴾ الآية . ومعنى لفظ الشهاب : الشُّعلة الساطعة من النار الموقدة ، ومن العارض في الجو ، نحو : (فأتبعه شهاب ثاقب)» ، المفردات في غريب القرآن ٤٦٧ .

وقال أبو حيان : «شهاب : كوكب متوقد مضيء» . تحفة الأريب ١٨٢ .

وقال ابن فارس : «شهب : الشين والهاء والباء أصل واحد يدل على بياض في شيء من سواد لا تكون الشهبة خالصة بياضاً . . ، ومن الباب الشهاب ، وهو شُعلة نار ساطعة . معجم مقاييس اللغة (شهب) ٣/ ٢٢٠ ، وانظر : لسان العرب (شهب) ١/ ٥٠٨ .

(٤) نحو ما جاء في سورة الحجر ١٨ عند قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾ . جاء في تفسير الشهاب : «قال الواحدي : والشهاب : شعلة نار ساطع ، ثم يسمى الكوكب شهاباً ، والسنان شهاباً لبريقها يشبهان النار» .

وقال ابن عباس في قوله : (بشهاب مبين) : «يريد ناراً تنير لأهل الأرض» .

قال المفسرون : إن الشهاب لا تخطئه أبداً ، وإنهم ليرمون فإذا توارى عنكم فقد أدركه .

وقال أصحاب المعاني : إن الله تعالى سمى ما ترجم به الشياطين شهاباً ، وهو في اللغة النار الساطعة ، ونحن في رأي العين نرى كأنهم يرمون بالنجوم ، فيجوز أن ذلك كما نرى ، ثم يصير ناراً إذا أدرك الشيطان ، ويجوز أنهم يرمون بشعلة نار من الهواء ، ولكن لبعده عنا يخيل إلينا أنه نجم . والله أعلم بحقيقة ذلك .

قال الكلبي : «ولم تكن تحرس السماء في الفترة بين عيسى ومحمد- عليهما السلام- خمسمائة عام ، فلمَّا بعث محمد ﷺ مُنعوا من السموات كلها ، وحرست بالملائكة والشهب ، فعند ذلك قالوا : ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ ﴾ [الجن :٨][1] الآية» .

٩. وذكر المفسرون[2] : أن الانقضاض الذي رُميت به الشياطين حدث بعد مبعث النبي ، وهو أحد آياته ، ويدل على هذا قوله : ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا ﴾ [الجن :٩] الآية ؛ أي كنا نسمع ، فالآن حين حاولنا الاستماع رُمينا بالشهب . وهو قوله : ﴿ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾ .

قال مقاتل : «يعني رمياً من الكواكب ، ورصداً من الملائكة»[3] .

قال أبو إسحاق : «أي حفظة تمنع من الاستماع»[4] .

---

(١) ورد بنحوه في الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١١ .

(٢) قال بذلك قتادة ، وابن زيد ، وابن عباس ، وأبي بن كعب ، وعبدالله بن عمر ، انظر : جامع البيان ٢٩/ ١١١ ، والتفسير الكبير ٣٠/ ١٥٨ ، والقرطبي ١٩/ ١٢ ، والدر المنثور ٨/ ٣٠٢ وعزاه إلى عبد بن حميد عن ابن عباس ، ويؤيد هذا القول الحديث عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : «كان الجن يصعدون إلى السماء يسمعون الوحي ، فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعاً ، فأمَّا الكلمة فتكون حقَّاً ، وأمَّا ما زاد فيكون باطلاً ، فلما بعث رسول الله ﷺ مُنعوا مقاعدهم ، فذكروا ذلك لإبليس ، ولم تكن النجوم يُرمى بها قبل ذلك ، فقال لهم إبليس : ما هذا إلا من أمر قد حدث في أرض ، فبعث جنوده فوجدوا رسول الله ﷺ قائماً يصلي بين جبلين ، أراه قال : بمكة ، فأتوه فأخبروه ، فقال : هذا الذي حدث بالأرض» .
أخرجه الترمذي في سننه وقال : هذا حديث حسن صحيح ، ٥/ ٤٢٧ ، ٤٢٨ ح ٣٣٢٤ ، كتاب التفسير ، باب ومن سورة الجن ٧٠ .

(٣) تفسير مقاتل ٢١١/ ب .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٣٤ بنصه .

وعلى هذا يجب أن يكون التقدير :شهاباً ، ورصداً ؛ لأن الرصد غير الشهاب ، وهو جمع راصد[١] .

وقال الفرَّاء[٢] ، وابن قتيبة[٣] : «أي شهاباً قد أرصد له ليرجم به» .

وعلى هذا الرصد من نعت الشهاب ، وهو فَعَل بمعنى مفعول ، كالنَّفَضِ والخيط .

روى عبدالرزاق عن مَعمر قال : «قلت للزهري : أكان يُرمى بالنجوم في الجاهلية ، قال : نعم ، قلت : أفرأيت قوله : ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ﴾ الآية ، فقال : غلظت ، وشدد أمرهَا حين بُعث النبي ﷺ»[٤] .

وروي أيضاً مرفوعاً ما يدل على هذا ، وهو ما روي عن ابن عباس أنَّه قال : بينا رسول الله ﷺ جالس في نفر من الأنصار إذ رمي بنجم ، فقال : «ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية ؟» فقالوا[٥] : كنا نقول يموت عظيم ، أو يولد[٦] عظيم[٧] الحديث .

---

(١) الرصد في اللغة : قال ابن فارس : «الراء والصاد والدال أصل واحد ، وهو التهيؤ لِرقبة شيء على مَسْلَكه ، ثم يحمل عليه ما يشاكله» . معجم مقاييس اللغة (رصد) ٢/ ٤٠٠ . وفي الصحاح (رصد) ٢/ ٤٧٤ : «الراصد للشيء : المراقب له ، والرَّصَدُ : القوم يَرصدون كالحرس» .

(٢) معاني القرآن ٣/ ١٩٣ بنصه .

(٣) تفسير غريب القرآن ٤٨٩ .

(٤) تأويل مشكل القرآن ٤٢٩ ، وبحر العلوم ٣/ ٤١٢ ، والكشاف ٤/ ١٤٧ ، والجامع للقرطبي ١٩/ ١٢ ، وفتح القدير ٥/ ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، والكشاف ٢٩/ ٨٧ .

(٥) في (أ) : (فقال) .

(٦) غير واضحة في (أ) .

(٧) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٧٥٠ : ح ١٢٤ ، كتاب السلام ، باب ٣٥ ، تحريم الكهانة وإتيان الكهان ، ونص الحديث كما هو عنده : «عن ابن شهاب حدثني علي بن حسين أن عبدالله بن عباس قال : أخبرني رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله ﷺ =

قال ابن قتيبة : «وهذا يدل[١] على أن الرجم قد كان قبل مَبْعثه ، ولكنه لم يكن مثله في شدة الحراسة بعد مبعثه ، وكانت تسترق في بعض الأحوال ، فلما بُعث منعت من ذلك أصلاً . وعلى هذا وجدنا الشعر القديم ، قال بِشر ابن أبي خازم ، وهو جاهلي :

والعَيْرُ يُرْهِقُها الغُبارُ وجَحْشُها ... يَنْقَضُّ خَلْفَها انْقِضَاضَ الكَوْكَبِ[٢]

وقال أوس بن حجر ، جاهلي :

فانْقَضَّ[٣] كالدُّرِّي يَتْبَعُه ... نَقْعٌ يَثُورُ تَخَالُهُ طُنُبا[٤][٥]

= رمي بنجم فاستنار ، فقال لهم رسول الله ﷺ : ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رُمي بمثل هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، كنا نقول : وُلِدَ الليلة رجل عظيم ، ومات رجل عظيم . فقال رسول الله ﷺ : فإنها لا يُرمى بها لموت أحد ولا لحياته ، ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه إذا قضى أمراً سبح حملة العرش» . . الحديث .

كما أخرجه الترمذي في سننه ٥/ ٣٦٢ : ح ٣٢٢٤ ، كتاب التفسير ، ومن سورة سبأ ٣٥ ، قال أبو عيسى : «هذا حديث حسن صحيح» .

وما أورده الإمام الواحدي فنقلاً عن تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٤٣٠ .

(١) وردت في تأويل مشكل القرآن المطبوع بلفظ : (لَنَدُلَّ) .

(٢) ورد البيت في ديوانه ٣٧ ، وكتاب المعاني الكبير ٢/ ٧٣٩ ، والحيوان لأبي عثمان الجاحظ ٦/ ٢٧٣ ، برواية (الخبار) بدلاً من (الغبار) ، و(خلفها) بدلاً من (خلفها) ، والكشاف ٢٩/ ٨٧ برواية : (خلفها) .

معنى البيت : الخبار : أرض لينة رخوة تسوخ فيها القوائم . شبه الجحش بالكوكب المنقضِّ في سرعته وبياضه . ديوانه ٣٧ . حاشية .

(٣) وانقض : هكذا وردت عند ابن قتيبة في التأويل .

(٤) ورد البيت في ديوانه ٣ ، برواية : (وانقض) ، والحيوان ٦/ ٢٧٤ ، وكتاب المعاني الكبير ٢/ ٧٣٩ ، والنكت والعيون ٦/ ١١٢ ، والتفسير الكبير ٣/ ١٥٧ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨١ ، وعزاه إلى عوف بن الجزع ، والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٢ ، والكشاف ٢٩/ ٨٧ (وانقض) .

ويراد بالنقع : الغبار الساطع . الدريُّ : الكوكب المنقض يدرأ على الشيطان . تخاله طنباً : يريد تخاله فسطاطاً مضروباً . ديوانه ٣ حاشية .

(٥) ما بين القوسين من قول ابن قتيبة ؛ نقله عنه الواحدي بتصرف يسير جدّاً . انظر : تأويل مشكل القرآن ٤٣٠ .

١٠. ثم قالوا: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي بحدوث الرجم بالكواكب، وحراسة السماء من استراق السمع، أريد شرّاً[١] بأهل الأرض أم صلاح. وهو قوله: ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾.

(هذا معنى أكثر المفسرين[٢]، وأهل التأويل[٣])[٤].

قال مقاتل: «﴿أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يعني بإرسال محمد ﷺ إليهم فيكذبوه، فيهلكوا كما هلك من كذب من الأمم الخالية، أراد أن يؤمنوا فيهتدوا»[٥].

والمراد بـ(الشر)، و(الرشد) على هذا القول: الكفر والإيمان[٦].

---

(١) وردت مكررة في النسخة: (أ).

(٢) قال بذلك ابن زيد، انظر قوله في: جامع البيان ٢٩/ ١١١، والنكت والعيون ٦/ ١١٢، والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٣.
كما قال به ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٤٣١، ورجحه الطبري في جامع البيان: مرجع سابق، وقاله أيضاً السمرقندي في بحر العلوم ٣/ ٤١٢، وإليه ذهب البغوي في معالم التنزيل ٤/ ٤٠٣، وعزاه القرطبي إلى الأكثرين من المفسرين.
وهذا القول أحد القولين للآية، وهو القول الأول.

(٣) قاله الفرَّاء في معاني القرآن ٣/ ١٩٣، والزَّجَّاج ٥/ ٢٣٤.

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٥) تفسير مقاتل ٢١١/ ب، وزاد المسير ٨/ ١٠٦، وإلى هذا القول ذهب الكلبي أيضاً، وعزاه الماوردي إلى السدي، وابن جريج، وحكاه ابن عطية في تفسيره.
ويعد هذا القول الثاني من القولين في معنى الآية. انظر: جامع البيان، والنكت والعيون: مرجعان سابقان، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨١.

(٦) بمعنى أن هذا القول منفصل عن معنى الآية السابقة له.

وقال ابن زيد : «قالوا : لا ندري أعذاب أراد الله أن ينزله بأهل الأرض فمُنعنا ، أم أراد بهم الهدى بأن يبعث فيهم رسولاً» . وهذا معنى القول الأول[١] .

١١. ثم أخبر عن أحوالهم فقال : ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ ؛ أي المؤمنون المخلصون . ﴿ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ : دون الصالحين ، يعنون الكفّار في قول مقاتل[٢] ، والكلبي[٣] ، ومجاهد[٤] .

(وهو اختيار الفرَّاء[٥] ، والزَّجَّاج[٦]) .

وقال ابن قتيبة : «﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ بعد استماع القرآن ، ﴿ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ ؛ أي منا بررة أتقياء ، ومنا دون البررة ، وهم مسلمون»[٧] ، فجعل الفريقين جميعاً مسلمين ، ولكن بعضهم دون بعض ؛ وهذا قول السدي عن ابن عباس[٨] . هذا كله معنى قوله :

﴿ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴾ ؛ أي أصنافاً ، وضروباً مختلفة ، إمَّا مؤمنون ، وكافرون ، على القول الأول ، وإمَّا مخلصون بررة ودونهم .

---

(١) ورد قوله بمعناه في جامع البيان ٢٩/ ١١١ ، والجامع للقرطبي ١٩/ ١٣ .

(٢) تفسير مقاتل ٢١١/ ب ، بنحوه .

(٣) كلمة (والكلبي) ساقطة من (أ) ، ولم أعثر على مصدر لقوله .

(٤) جامع البيان ٢٩/ ١١٢ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٠٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٥٩ ، والدر المنثور ٨/ ٣٠٤ وعزاه إلى عبد بن حميد .

(٥) معاني القرآن ٣/ ١٩٣ ، وعبارته سابقة لهذه الآية ، وذلك عندما تناول تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٣٥ . والكلام ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٧) تأويل مشكل القرآن ٤٣١ نقله عنه الواحدي بنصه .

(٨) لم أعثر على مصدر لقوله .

قال السدي : «الجنُّ أمثالكم ، فيهم قدرية ، ومرجئة[١] ، ورافضة[٢] ،

(١) المرجئة : الإرجاء معناه التأخير ، والآخر : إعطاء الرجاء ، وإطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول ؛ لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد ، وإما بالمعنى الثاني فظاهر أنهم كانوا يقولون : لا تضر مع الإيمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة . وأول من قال بالقدر والإرجاء : غيلان الدمشقي ، ثم الجهم بن صفوان . والمرجئة أربعة أصناف : مرجئة الخوارج ، ومرجئة القدر ، ومرجئة الجبر ، والمرجئة الخالصة . انظر : شرح أصول الاعتقاد للَّالكائي ١/ ٢٥ ، والفرق بين الفرق للأسفراييني ٢٥ ، والملل والنحل للشهرستاني ١٣٩ ، ومختصر لوامع الأنوار البهية لابن سلوم ٧٦ .

(٢) الرافضة والروافض من فرق الشيعة الباطلة الهدامة المعاندة للأمة الإسلامية ، والرافضة لقب أطلقه زيد بن علي بن الحسين على الذين تفرقوا عنه ممن بايعه بالكوفة ؛ لإنكاره عليهم الطعن على أبي بكر وعمر ، فرفضه جماعته من الشيعة بسبب ثنائه عليهما ، فسمُّوا رافضة .
ومن أهل السنة من يطلق الوصف على الشيعة عموماً باستثناء الزيدية .
ومن فرق الرافضة من أظهر بدعته في زمن علي ـرضي الله عنهـ فقال لعلي أنت الإله ، فأحرق علي ـرضي الله عنهـ قوماً منهم ، ونفى بعضهم . وهذه الفرقة من الروافض ومن شاكلهم يجمعهم إنكارهم للقرآن ، والاعتقاد بتحريفه وتغييره ، وإنكار السنة النبوية مكفرين أصحاب رسول الله ﷺ ، وخاصة الخلفاء الراشدين ؛ أبا بكر ، وعمر ، وعثمان ، وغير ذلك من الأمور المنكرة الشنيعة التي ما أرادوا بها إلا إسقاط كلمة تكليف الشريعة عن أنفسهم حتى يتوسعوا في استحلال المحرمات الشرعية ، ويعتذروا عند العوام بما يعدونه من تحريف الشريعة ، وتغيير القرآن من عند الصحابة ، فإنهم ليسوا من الأمة الإسلامية أصلاً .
انظر : الفرق بين الفرق للأسفراييني ٢١ ، والقاموس الإسلامي لأحمد عطية ٢/ ٤٧٤ ، والشيعة والتشيع فرق وتاريخ لإحسان إلهي ظهير ٤٥ و٤٧ ، والموسوعة الميسرة ٨٥٤ .

وشيعة»[١][٢] .

وقال أبــو عبيدة في قوله : ﴿ طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴾ ؛ (أي)[٣] : ضروباً ، وأجناســاً ، ومللاً[٤][٥] ، وأنشد الكميت :

جمعت بالري منهم كل رافضــة إذ هم طرائق في أهوائهم قددُ[٦][٧]

---

(١) الشيعة : من الفرق الضالة عن الإسلام ، ومنهم من لا يمت إلى الإسلام بشيء ، قال الشهرستاني عنهم : «هم الذين شايعوا عليّاً ـرضي الله عنهـ على الخصوص ، وقالوا بإمامته وخلافته نصّاً ، ووصيه إما جليّاً أو خفيّاً ، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده ، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره ، أو بتقية من عنده ، وقالوا : ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة ، وينتصب الإمام بنصبهم ؛ بل هي قضية أصولية ، وهي ركن الدين ، لا يجوز للرسل ـعليهم السلامـ إغفاله وإهماله ، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله ، ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص ، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر ، والقول بالتولي والتبري قولاً وفعلاً وعقداً إلا في حال التقية .
وهم خمس فرق : كيســانية ، وزيدية ، وإمامية ، وغلاة ، وإسماعيلية . وبعضهم يميل في الأصول إلى الاعتزال ، وبعضهم إلى السنة ، وبعضهم إلى التشبيه .
وقد تعددت الآراء حول بداية التشيع مذهباً وحركة ، فالشيعة أنفسهم يرجعون بمذهبهم إلى بدايات الإســلام ، وآخرون يرجعون إلى الفترة التي تلت وفاة الرسول ﷺ مباشرة ، واختلاف الناس حول خلافته ، ومنهم من يرجع ذلك إلى عهد علي ، ومعركة صفين بصفة خاصة . إلخ .
انظــر : الملل والنحل للشهرســتاني ١٤٦ ، ١٤٧ ، والقاموس الإســلامي ٣/ ٢١٧ ، وانظر : شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/ ٢٢ ، ٢٣ ، والموسوعة العربية العالمية ١٤/ ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

(٢) ورد قول الســدي هذا في الكشــف والبيان ١٢/ ١٩٥/ ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٠٣ ، وزاد المســير ٨/ ١٠٦ ، والتفســير الكبــير ٣٠/ ١٥٩ ، والجامــع للقرطبي ١٩/ ١٤ ، وتفســير القــرآن العظيم ٤/ ٤٥٩ ، والدر المنثور ٨/ ٣٠٤ ، وعزاه إلى أبي الشــيخ في العظمة ، وفتح القدير ٥/ ٣٠٦ ، وانظر : تفسير السدي ٤٦٤ .

(٣) ساقطة من (ع) .

(٤) في (أ) : (ميلاً) .

(٥) النص في مجاز القرآن ٢/ ٢٧٢ ، ولم يذكر : مللاً .

(٦) في (أ) : (قدداً) .

(٧) وورد البيت في الدر المصون ٦/ ٣٩٤ ، ولم أعثر عليه في ديوانه .
وورد غير منسوب في البحر المحيط ٨/ ٣٤٤ برواية : (الرأي) .

وقال أبو إسحاق : «وكنا جماعات متفرقين»[١] .

وقال الفرَّاء : «كنا فرقاً مختلفة [أهواؤنا]»[٢] .

وقال ابن قتيبة : «كنا أصنافاً وفرقاً»[٣] .

وذكرنا معنى الطريقة عند[٤] قوله : ﴿ وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴾[٥] .

والقِدَة : القطعة من الشيء ، وصَار القوم قدداً إذا تفرقت أحوالهم[٦] وأهواؤهم[٧] .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٣٥ بنصه .

(٢) وردت في النسختين (أ) ، و(ع) : (أهوانا) ، وما أثبتناه من معاني القرآن ٣/ ١٩٣ ، فالكلام فيه بنصه ، وهو الصواب .

(٣) تأويل مشكل القرآن ٤٣١ بنحوه ، وانظر أيضاً : تفسير غريب القرآن ٤٩٠ .

(٤) في (أ) : (في) .

(٥) سورة طه : ٦٣ ﴿ قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴾ .

ومما جاء في تفسيرها : قال عكرمة :يذهبا بخياركم ، وقال الحسن وأبو صالح بأشرافكم ، وعن مجاهد : أولو العقل والشرف والأسنان ، وهذه الأقوال معناها واحد ، وهو معنى قول ابن عباس في رواية الوالبي : أمثلكم . قال الزَّجَّاج : معناه : جماعتكم الأشراف . قال : والعرب تقول للرجل الفاضل : هذا طريقة قومه . .

وتأويله : هذا الفتى ينبغي أن يجعله قومه قدوة ، ويسلكوا طريقته ، وينظروا إليه ، ويتبعوه .

وقال الفرَّاء : العرب تقول للقوم : هؤلاء طريقة قومهم ،وطرائق قومهم ، لأشرافهم ؛ ويقولون للواحد أيضاً : هذا طريقة قومه ، ويقولون للجمع بالتوحيد والجميع ، يعني : طريقة ، وطرائق ، قال : ومن ذلك قوله : (طرائق قدداً) .

والطريقة اسم للأفاضل ، على معنى أنهم الذين يقتدي بهم ، ويتبع آثارهم ، كما يسلك الطريقة .

(٦) في (ع) : (حالاتهم) .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (قدد) ٨/ ٢٦٨ ، والصحاح ٢/ ٥٢٢ ، وتاج العروس ٢/ ٤٦٠ .

وقال المـبِّرد[١] : «الطرائق : الأجناس المتفقـة ، والمختلفة ، وهو مأخوذ من الطريق ، وهـو تأكيد له هاهنا ، ويقال : القوم طرائق ؛ أي على مذاهب شـتى ، والقـدد نحو الطرائق ، وهو تأكيد لها هاهنا ، يقال : لكل طريقة قدة . وأصله من قِدِّ السّيور[٢] ، يقال : صار الأديم قدداً» .

ثم قالوا : ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ ﴾ . قال ابن عباس[٣] ، والمفسرون[٤] : «عَلِمْنا وأيقنا» .

١٢ . ﴿ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ؛ أي لن نفوته إن أراد بنا أمراً ، ولن نسبقه .

﴿ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴾ إن طلبنا ؛ أي إنه يدركنا (حيث كنَّا)[٥] ، ثم قال :

١٣ . قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ ، قال ابن عباس : «الذي جاء به محمد ﷺ كله هدى»[٦] . وقال مقاتل : «يعني القرآن»[٧] .

﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ صدَّقنا أنَّهُ من عند الله .

﴿ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ ﴾ يصدق بتوحيد الله .

﴿ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا ﴾ نقصاً من عمله وثوابه[٨] .

---

(١) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٢) قال الليث : «والقِدُّ : سير يُقَدُّ من جلد غير مدبوغ» . تهذيب اللغة (قدد) ٨/ ٢٦٨ .

(٣) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٤) ممن قـال بذلك الفرَّاء ٣/ ١٩٣ ، والثعلبي ١٢/ ١٩٤/ أ ، والبغوي ٤/ ٤٠٣ ، وابن عطية ٥/ ٣٨٢ ، وابن الجـوزي ٨/ ١٠٦ ، والفخر الـرازي ٣٠/ ١٥٨ ، والقرطبـي ١٩/ ١٥ ، والخازن ٤/ ٣١٧ ، وابن كثير ٤/ ٤٥٨ ، والشوكاني ٥/ ٣٠٦ .

(٥) ما بين القوسين ساقطة من (أ) .

(٦) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٧) تفسير مقاتل ٢١٢/ أ .

(٨) عـن ابن عباس بمعناه في جامع البيان ٢٩/ ١١٢ ، قال : «لا يخاف نقصاً من حسـناته ، ولا زيادة في سيئاته ، وعنه : ولا يخاف أن يبخس من عمله شيء» .

﴿ وَلَا رَهَقًا ﴾ ظلماً ، بأن يذهب عمله كله[١] ؛ قاله الكلبي[٢] ومقاتل[٣])[٤] ، وقال عطاء[٥] : «﴿ رَهَقًا ﴾ : عذاباً» .

قال المبرِّد : «البخس[٦] الظلم ، والرهق[٧] ما يغشاه من المكروه»[٨] ، فيدخل فيه العذاب ، ونقصان الحسنات ، والثواب .

١٤. وقالوا : ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ ﴾ هم الذين آمنوا بالنبي ﷺ ؛ قاله[٩] ابن عباس[١٠] والمفسرون[١١] .

﴿ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ﴾ وهم الجائرون[١٢] الظالمون[١٣] الكافرون[١٤] .

---

(١) بمعناه قال ابن زيد : المرجع السابق . قال : «فيظلم ولا يعطي شيئاً» .
(٢) لم أعثر على مصدر لقوله .
(٣) تفسير مقاتل ٢١٢/ أ .
(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
(٥) لم أعثر على مصدر لقوله .
(٦) البَخْس : الناقص ، وقد بخسه حقَّه يبْخَسُهُ بَخْساً إذا نقصه . انظر : الصحاح (بخس) ٣/ ٩٠٧ ، ولسان العرب ٦/ ٢٤ ، والقاموس المحيط ٢/ ١٩٩ .
(٧) «الراء والهاء والقاف : أصلان متقاربان ، فأحدهما غشيان الشيء الشيءَ ، والآخر : العجلة والتأخير . والرَّهق : العجلة والظلم . قال تعالى : ﴿ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾ » ، انظر : معجم مقاييس اللغة (رهق) ٢/ ٤٥١ ، والصحاح ٤/ ١٤٨٧ ، ولسان العرب ١٠/ ١٣١ .
(٨) لم أعثر على مصدر لقوله .
(٩) في (أ) : (قال) .
(١٠) لم أعثر على مصدر لقوله .
(١١) لم أعثر على مصدر لقولهم .
(١٢) قال بذلك قتادة ، وابن زيد . انظر : جامع البيان ٢٩/ ١١٣ .
وإليه ذهب الطبري في جامع البيان : المرجع السابق ، والزَّجَّاج في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٣٥ ، والثعلبي في الكشف والبيان ١٢/ ١٩٤/ أ .
(١٣) قال به مجاهد . انظر : تفسير الإمام مجاهد ٦٧٧ ، وجامع البيان ٢٩/ ١١٣ .
(١٤) قال به ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ٤٣١ .

قال ابن عباس : «وهم الذين جعلوا لله نِدّاً ، وعدلوا به مخلوقاً»[١] .

وذكرنا معنى (قسط) و(أقسط) في أول سورة النساء[٢] .

ثم مدحوا الإيمان ، وقالوا : ﴿ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴾ ؛ أي قصدوا طريق الحق[٣] .

وقال أبو عبيدة : (تحروا توخوا وتعمدوا ، وأنشد :

دِيمةٌ هَطلاء[٤] فيها وَطَفٌ طَبَقُ الأرض تحري وتَدِرْ[٥])[٦]

وقال الليث : «(يُقال)[٧] : هو يتحرى بكلامه وأمره الصَّواب ، وكذلك يتحرى مسرة فلان»[٨] .

---

(١) معالم التنزيل ٤/ ٤٠٣ ، ولم يذكر عنه : (وعدلوا به مخلوقاً) .

(٢) عند قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ .
ومما جاء في تفسير القسط فيها ما يلي : الإقساط : العدْل ، يقال : أقسط الرجل إذا عدل ، والقسط : العدل ، والنصفة . قال الزَّجَّاجي : «وأصل قسط وأقسط جميعاً من القسط ، وهو النصيب ، فإذا قالوا : قسط بمعنى جار أرادوا أنه ظلم صاحبه في قسطه الذي يصيبه . . . وإذا قالوا : أقسط ، فالمراد به أنه صار ذا قِسط وعَدل ، فبني على بناء أنصف إذا أتى بالنصف والعدل في قوله وفعله وقسمه» .

(٣) التحري لغة : قصد الأولى والأحق . انظر : تهذيب اللغة (حرى) ٥/ ٢١٣ ، ولسان العرب ١٤/ ١٧٤ .

(٤) في (أ) : (هطلاه) .

(٥) البيت لامرئ القيس ، ورد البيت في ديوانه ١٠٥ ، وانظر : تهذيب اللغة (هطل) ٦/ ٧٧ ، والصحاح ٥/ ١٨٥٠ ، ولسان العرب ١٤/ ١٧٤ ، ٣/ ٦٩٩ ، وتاج العروس (حرى) ٨/ ١٦٩ .
ومعنى البيت : الديمة : المطر الدائم يوماً وليلة . الوطفاء : الدانية من الأرض . طبق الأرض : عمها . تحرى : تقصد حراهم وهو الغناء . تدر : تعتمد المكان وتثبت فيه .

(٦) ما بين القوسين من قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٧٢ .

(٧) ساقط من (أ) .

(٨) لم أعثر على مصدر لقوله .

وقال الفرَّاء : «﴿ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴾ الهدى»[١] .

قال المبرِّد : «وأصل التحري من قولهم : ذلك أحرى ؛ أي أحق وأقرب» .

والحري[٢] أن يفعل كذا ؛ أي يجب عليك ، كما تقول : يحق عليك أن تفعل[٣] ، ويقال : لا تَطُرْ حَرانا ؛ أي القرب الذي تحر أحق به[٤] .

١٥. ثم ذموا الكافرين فقالوا : ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ﴾ الآية ؛ أي الذين كفروا وعدلوا بربهم كانوا وقوداً للنار في الآخرة يصلونها[٥] .

وانقطع هاهنا كلام[٦] الجن[٧] .

١٦. قال مقاتل : «ثم رجع إلى كفار مكة»[٨] ، قوله تعالى : ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ ﴾[٩] (أن) مخففة من الثقيلة ، وفصل (لو)[١٠] بينها وبين الفعل[١١] كفصل[١٢] السين[١٣] و(لا) في قوله : ﴿ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا ﴾ [طه :٨٩] ،

---

(١) معاني القرآن ٣/ ١٩٣ ، مختصراً وعبارته : «أمّوا الهدى واتبعوه» .

(٢) في (ع) : (بالحرى) .

(٣) التفسير الكبير ٣٠/ ١٦٠ .

(٤) انظر : لسان العرب (حري) ١٤/ ١٧٢ ، والعبارة عنه قال : «تَطُرْ حرانا ، أي لا تقرب ما حولنا» .

(٥) في (أ) : (بطونها) .

(٦) في (أ) : (الكلام) .

(٧) ورد ذلك عن ابن قتيبة ، ولعل الإمام الواحدي نقله عنه بتصرف ، وعبارة ابن قتيبة : «الكافرون . الآية ، وانقطع كلام الجن» تأويل مشكل القرآن ٤٣١ .

(٨) زاد المسير ٨/ ١٠٧ .

(٩) ورد في النسختين : (وأن لو استقاموا على أصل معنى الآية) .

(١٠) ساقطة من (أ) .

(١١) في (ع) : (كفصل) ، وهو لفظ مكرر زائد .

(١٢) كررت كلمة : (كفصل) مرتين في (ع) .

(١٣) في النسختين وردت : (الشين) ، والصواب هو : (السين) .

و﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ﴾ [المزمل: ٢٠]، وهو محمول على الوحي، كأَنَّهُ أوحي إلى أن لو استقاموا على الطريقة)[١].

قال ابن عباس: «يريد طريقة الإسلام»[٢].

وهو قول مقاتل[٣]، (وإبراهيم[٤])[٥]، ومجاهد[٦]، وقتادة[٧]، قالوا: معناه لو آمنوا واستقاموا على الهدى ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾؛ أي كثيراً.

قال عطاء: «يريد لأغدقت لهم في النعيم والمعيشة»[٨].

وقال مقاتل: «يعني ماءً كثيراً من السماء، وذلك بعد[٩] ما رفع عنهم المطر سبع سنين»[١٠]. وقال سعيد بن جبير: «هو المال»[١١].

---

(١) ما بين القوسين نقلاً عن الحجة بتصرف ٦/ ٣٣٠.

(٢) النكت والعيون ٦/ ١١٦، وزاد المسير ٨/ ١٠٧، وابن كثير ٤/ ٤٥٩ بمعناه.

(٣) تفسير مقاتل ٢١٢/ أ، قال: «يعني طريقة الهدى».

(٤) لم أعثر على مصدر قوله.

(٥) ساقط من (أ).

(٦) جامع البيان ٢٩/ ١١٤، والنكت والعيون ٦/ ١١٦ بمعناه، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٢ بمعناه، وزاد المسير ٨/ ١٠٧، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٥٩، والدر المنثور ٨/ ٣٠٥ وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٧) النكت والعيون ٦/ ١١١٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٢ بمعناه، وزاد المسير ٨/ ١٠٧.

(٨) لم أعثر على مصدر لقوله.

(٩) بياض في (ع).

(١٠) تفسير مقاتل ٢١٢/ أ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٠٣، وفتح القدير ٥/ ٣٠٨. وانظر: لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ٢٢٢.

(١١) جامع البيان ٢٩/ ١١٥.

وقال مجاهد : «مالاً كثيراً»[١] . وقال[٢] السدي : «الماء الكثير»[٣] .

وهـذا معنى ما روي عن عمر[٤] -رضي الله عنه-[٥] قال : «حيث كان الماء كان المال ، وحيث كان المال كانت الفتنة»[٦] .

وقال ابن قتيبة (أي لو آمنوا جميعاً لوسعنا عليهم في الدنيا ، وضرب الماء الغدق وهو الكثير لذلك مثلًا ؛ لأن الخير كله والرزق بالمطر (يكون)[٧] ، فأقيم مقامه إذ كان سببه)[٨] .

(ودليل هذا التأويل قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ﴾[٩] الآية [الأعراف :٩٦])[١٠] .

---

(١) المرجع السابق ، والدر المنثور ٨/ ٣٠٥ وعزاه إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٢) غير واضحة في (ع) .

(٣) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٤) هو عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) .

(٥) في (أ) : (رحمه الله) ، بدلاً من : (رضي الله عنه) .

(٦) جامع البيان ٢٩/ ١١٥ ، والكشف والبيان ١٢/ ١٩٤/ ب ، والقرطبي ١٩/ ١٧ .

(٧) ساقطة من (أ) .

(٨) ما بين القوسين من قول ابن قتيبة ، نقله عنه الإمام الواحدي بنصه ، تأويل مشكل القرآن ٤٣٢ .

(٩) في (أ) و(ع) : (الكتاب) بدلاً من (القرى) ، وهو خطأ واضح .

(١٠) ما بين القوسين نقلاً عن الزَّجَّاج . انظر : معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٣٥ .

وتفسير الغدق عند أهل اللغة : الماء الكثير ، يقال غَدِقَتْ العين بالكسر ، فهي غَدِقة ، والغدق : (الماء الكثير)[١][٢] . قال المبرِّد : «روضة مغدقة إذا كانت ريّاً من الماء»[٣] ، ومن هذا يقال : مطر مغدوق ، وغيداق ، وغيدق إذا كان كثير الماء[٤] .

هـذا الذي ذكرنا في (تفسير)[٥] الآية هو قول أكثر المفسرين : سعيد بن المُسَيِّب[٦] ، وعطاء ، وعطية ، (والضحاك ، والحسن[٧])[٨] .

وقال الكلبي : «وأن لو استقاموا على الطريقة يعني على طريقة الكفر ، وكانوا كفاراً كلهم»[٩] . وهذا قول الربيع[١٠] ، وزيد بن أسلم[١١] ، والثمالي[١٢] ، (وأبي

---

(١) بياض في (ع) .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (غدق) ١٦ ، والمستدرك ١٢٩ ، ومعجم مقاييس اللغة ٤/ ٤١٥ ، والصحاح ٤/ ١٥٣٦ ، ولسان العرب ١٠/ ٢٨٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٣٦ .

(٣) قوله : (إذا كانت ريّاً من الماء) بياض في (ع) .

(٤) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٥) ساقطة من (أ) .

(٦) بياض في (ع) .

(٧) لم أعثر على مصدر لقولهم .

(٨) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٩) الكشف والبيان ١٢/ ١٩٥/ أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٠٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٩١ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٦٠

(١٠) المراجع السابقة عدا الجامع لأحكام القرآن ، وانظر أيضاً : المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٢ ، وزاد المسير ٨/ ١٠٧ ، وفتح القدير ٥/ ٣٠٨ .

(١١) المراجع السابقة عدا زاد المسير . وانظر أيضاً : الجامع للقرطبي ١٩/ ١٨ .

(١٢) انظر قوله في : الكشف والبيان ، والجامع لأحكام القرآن : مرجعان سابقان ، وفتح القدير ٥/ ٣٠٨ .

مجلز)[١][٢] ، واختيار الفرَّاء[٣] ، وابن كيسان[٤] ، قالوا : وأن لو استقاموا جميعاً على طريقة الكفر لوسعنا عليهم ، وجعلنا ذلك فتنة عليهم ، ودليل هذا التأويل قوله : ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ الآية [الزخرف :٣٣] .

قال أبو إسحاق : «والذي يختار أن يكون : يعني بالطريقة طريقة الهدى ؛ لأن الطريقة مُعَرَّفَة بالألف واللام ، فالأوجب أن يكون طريقة الهدى ، والله أعلم»[٥] .

وتمام هذا الكلام عند قوله : ﴿ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾[٦] (أي لنختبرهم فنعلم كيف شكرهم)[٧] . هذا على القول الأول . (وعلى القول الثاني : نقول لو كانوا كفاراً كلهم وثبتوا على طريقة الكفر لوسعنا عليهم ؛ فتنةً لهم ، واستدراجاً)[٨] .

قال الفرَّاء : «نفعل ذلك بهم ليكون فتنةً عليهم في الدنيا وزيادةً في عذاب الآخرة»[٩] .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) ورد قوله في الكشف والبيان ١٢/ ١٩٥/ أ ، والنكت والعيون ٦/ ١١٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٨ ، وفتح القدير ٥/ ٣٠٨ .

(٣) معاني القرآن ٣/ ١٩٣ .

(٤) انظر قوله في : الكشف والبيان ١٢/ ١٩٥/ أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٠٤ ، وزاد المسير ٨/ ١٠٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٦٠ ، وفتح القدير ٥/ ٣٠٨ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٣٦ بيسير من التصرف .

(٦) قال بذلك النحاس ، وأبو عمرو ، والسجاوندي ، والأشموني . انظر : القطع والائتناف ٢/ ٧٦٦ ، ٧٦٧ ، والمكتفى في الوقف والابتدا ٥٨٩ ، وعلل الوقوف ٣/ ١٠٥٦ ، ومنار الهدى ٤٠٦ ، وتمام الآية : ﴿ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ .

(٧) ما بين القوسين من قول ابن قتيبة بنصه من تأويل مشكل القرآن ٤٣٢ .

(٨) ما بين القوسين أيضاً من قول ابن قتيبة ، نقله الإمام الواحدي ، ولكن بتصرف . انظر : المرجع السابق .

(٩) معاني القرآن ٣/ ١٩٣ بنصه .

١٧. (وقوله تعالى)[١] : ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾ (يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً)[٢] يعني القرآن ، وما جاء به محمد ﷺ من الموعظة ؛ قاله ابن عباس[٣] ومقاتل[٤] .

﴿نَسْلُكْهُ﴾ . (عَذاباً)[٥] قال مقاتل : «يدخله عذاباً»[٦] .

﴿صَعَدًا﴾ قال مجاهد[٧] ، ومقاتل[٨] : «شدَّة ، ومشقة من العذاب» .

وقال قتادة : «صعوداً من عذاب الله ، لا راحة فيه»[٩] .

قال عكرمة عن ابن عباس : «هو جبل في جهنم»[١٠] .

قال أبو سعيد الخدري : «جبل في النار»[١١] .

---

(١) ساقطة من (أ) .
(٢) ما بين القوسين ساقط من (ع) .
(٣) لم أعثر على مصدر لقوله .
(٤) تفسير مقاتل ٢١٢/ أ .
(٥) ما بين القوسين ساقط من (ع) .
(٦) ما ورد في تفسير مقاتل ٢١٢/ أ هو : «شدة العذاب» .
(٧) جامع البيان ٢٩/ ١١٦ ، والنكت والعيون ٦/ ١١٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٦٠ ، والدر المنثور ٨/ ٣٠٦ وعزاه لعبد بن حميد .
(٨) تفسير مقاتل ٢١٢/ أ .
(٩) تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٢٢ ، وجامع البيان ٢٩/ ١١٦ ، والكشف والبيان ١٢/ ١٩٥/ أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٠٤ ، والدر المنثور ٨/ ٣٠٦ ، وعزاه إلى عبدالرزاق ، وعبد بن حميد .
(١٠) جامع البيان ٢٩/ ١١٦ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣ ، والتفسير الكبير ٣٠/ ١٦٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٨ ، والبحر المحيط ٨/ ٣٥٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٦٠ ، والدر المنثور ٨/ ٣٠٦ وعزاه إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر . وانظر : المستدرك ٢/ ٥٠٤ ، كتاب التفسير ، باب تفسير سورة نوح ، وقال : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي .
(١١) ورد قوله في المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣ ، والبحر المحيط ٨/ ٣٥٢ .

وقال الكلبي : «يكلف أن يصعد جبلاً في النار (وقال)[١] من صخرة ملساء تجذب من أمامه بسلاسل ، ومن خلفه بمقامع[٢] حتى يبلغ أعلاها ، ولا يبلغ في أربعين سنة ، فإذا بلغ أعلاها أحدر إلى أسفلها ، ثم يكلف أيضاً صعودها ، فذلك دأبه[٣] أبداً»[٤] .

نزلت في الوليد بن المغيرة[٥] ، ونظيرها قوله : ﴿ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴾ [المدثر : ١٧] قال أبو إسحاق : «ومعنى ﴿ صَعَدًا ﴾ في اللغة طريق شاقَّة من العذاب»[٦] .

قال المبرِّد[٧] ، وابن قتيبة[٨] : «﴿ صَعَدًا ﴾ شاقّاً . يقال : تَصَعَّدَهُ الأمر إذا شقَّ عليه»[٩] .

---

(١) ساقطة من (ع) .

(٢) المقامع : جمع مِقْمَع ، وهو ما يضرب به ويُذَلَّل ، ولذلك يقال : قمعته فانقمع ؛ أي كففته فكف . المفردات في غريب القرآن ٤١٣ .

(٣) دأبه : الدَّأْب : العادة والشأن . انظر : الصحاح (دأب) ١/ ١٢٣ ، والقاموس المحيط ١/ ٦٤ .

(٤) ورد قول الكلبي في الكشف والبيان ١٢/ ١٩٥/ ب ، كما ورد عند الفرَّاء من غير نسبة ، وإنما ذكروا أن الصعد : صخرة ملساء . . إلخ . معاني القرآن ٣/ ١٩٤ .

(٥) قاله الفرَّاء في معاني القرآن ٣/ ١٩٤ ، والثعلبي في تفسيره ١/ ١٩٥/ ب .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٣٦ بنصه .
والصعد في اللغة يدل على ارتفاع ومشقة من ذلك الصعود خلاف الحدور ، ويقال : صَعِد يَصْعَد ، والإصعاد مقابله الحدور من مكان أرفع ، والصعود : العقبة الكؤود ، والمشقة من الأمر . معجم مقاييس اللغة (صعد) ٣/ ٢٨٧ .
وجاء في المفردات ٢٨٠ : «الصعود : الذهاب في المكان العالي ، والصَّعود والحدور لمكان الصُّعُود والانحدار ، وهما بالذات واحد ، وإنما يختلفان بحسب اعتبار من يمر فيهما ، فمتى كان المار صاعداً يقال لمكانه : صَعودٌ ، وإذا كان منحدراً يقال لمكانه : حدور ، والصَّعَدُ ، والصَّعيدُ ، والصَّعُود في الأصل واحد ، لكن الصَّعود ، والصَّعَد يقال للعقبة ، ويستعار لكل شاقٍّ» .

(٧) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٨) تفسير غريب القرآن ٤٩١ ، وتأويل مشكل القرآن ٤٣٢ .

(٩) بياض في (ع) .

وقال أبو عبيدة : «الصعد مصدر ، والمعنى عذاباً ذا صعد[١] ؛ وذلك أنه يصعد ذلك الجبل فيشق عليه ، والمشي في الصعود يشق على الإنسان ، فسمى المشقة صعداً» .

وسنزيد بياناً عند قوله : ﴿ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴾ [المدثر :١٧] إن شاء الله .

١٨. قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ ﴾ زعم سيبويه أن المفسرين حملوه على (أوحي) كأنه أوحي إليَّ أن المساجد لله ، ومذهب الخليل : أنه على معنى : ولأن المساجد لله فلا تدعو[٢] ، كما أن قوله : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ ﴾ [الأنبياء :٩٢] على معنى : ولأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ؛ (أي لهذا فاعبدون)[٣][٤] .

واختلفوا في معنى المساجد ، فالأكثرون[٥] على أنها المواضع التي بنيت للصلاة وذكر الله .

قال مقاتل : «يعني الكنائس ، والبيع ، ومساجد المسلمين»[٦] .

﴿ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ ﴾ فلا تعبدوا مع الله أحداً ، وذلك أن أهل الكتاب يشركون في صلاتهم في البيع ، والكنائس ، فأمر الله المؤمنين . ونحو هذا قال قتادة : «كانت اليهود والنصارى ، إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا ، فأمر الله أن

---

(١) مجاز القرآن ٢/ ٢٧٢ ، والعبارة عنه : «﴿ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ مصدر صعود ، وهو أشد العذاب» .

(٢) في كلا النسختين : (تدعوا) .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٤) ورد قول سيبويه في الحجة ، نقله الواحدي عن أبي علي الفارسي بتصرف يسير . الحجة ٦/ ٣٣١ ، ٣٣٢ ، وانظر : كتاب سيبويه ٣/ ١٢٧ .

(٥) حكاه الفخر أيضاً عن أكثر المفسرين ، انظر : التفسير الكبير ٣٠/ ١٦٢ ، وبه قال عكرمة وابن عباس وقتادة . انظر : جامع البيان ٢٩/ ١١٧ ، والنكت والعيون ٦/ ١١٩ ، وزاد المسير ٨/ ١٠٨ .

(٦) تفسير مقاتل ٢١٢/ أ .

يُخلص الدعوة إذا دخل المسجد»[١] . وهذا قول ابن عباس في رواية عكرمة قال : «المساجد كلها»[٢] .

وعلى هذا القول واحدها يجوز أن يكون مسَجداً بفتح الجيم ، وهو موضع السجود من الأرض ، ويجوز أن يكون مسجِداً بكسر الجيم ، وهو اسم جامع للموضع الذي يسجد عليه . وفيه بُعدٌ أن[٣] يكون اتخذ لذلك .

وقال سعيد بن جبير : «المساجد : الأعضاء التي يسجد عليها العبد ، وهي سبعة : القدمان ، والركبتان ، واليدان ، والوجه»[٤] .

وهذا القول اختيار ابن الأنباري[٥] ، قال : «يقول : إن هذه الأعضاء التي يقع السجود عليها مخلوقة لله ، هو ابتدأها ، وفطرها ؛ فلا ينبغي أن تسجدوا عليها لغيره فتكونوا إذا فعلتم ذلك جاحدين لنعمته» .

---

(١) تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٢٣ ، وجامع البيان ٢٩/ ١١٧ ، والكشف والبيان جـ : ١٢/ ١٩٥/ ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٠٤ ، وزاد المسير ٨/ ١٠٨ ، ولباب التأويل ٤/ ٣١٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٦٠ ، والدر المنثور ٨/ ٣٠٦ وعزاه إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر .

(٢) ورد بمعنى هذه الرواية في النكت والعيون ٦/ ١١٩ ، وزاد المسير ٨/ ١٠٨ ونص العبارة عنه : «أنها المساجد التي هي بيوت الله للصلوات» ، وقد وردت رواية ابن عباس بهذا اللفظ عن عكرمة . انظر : جامع البيان ٢٩/ ١١٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٦٠ .

(٣) (أن) : جاءت مكررة في (ع) .

(٤) ورد بمعنى هذه الرواية في النكت والعيون ٦/ ١١٩ ، وزاد المسير ٨/ ١٠٨ ونص العبارة عنه : «أنها المساجد التي هي بيوت الله للصلوات» ، وقد وردت رواية ابن عباس بهذا اللفظ عن عكرمة . انظر : جامع البيان ٢٩/ ١١٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٦٠ .

(٥) زاد المسير ٨/ ١٠٨ ، والتفسير الكبير ٣٠/ ١٦٣ ، وانظر : الوسيط ٤/ ٣٦٧ .

وعلى هذا القول معنى المساجد : مواضع السجود من الجسد ، واحدها مسجَد بالفتح ، (وذكر الكلبي[١] ، والفرَّاء[٢] القولين اللذين ذكرناهما)[٣] .

وروي عن الحسن أنه قال : «أراد البقاع كلها»[٤] . يعني أن الأرض كلها مواضع للسجود[٥] يمكن أن يسْجد عليها ، وهى كلها جعلت مسجداً لهذه الأمة ، يقول : الأرض كلها مخلوقة لله ، فلا يسجدوا عليها لغير خالقها[٦] .

وروي عنه أيضاً أنه قال : «المساجد هي الصلوات»[٧] .

قال ابن قتيبة : «يريد أن السجود لله ، جمع مَسْجَد كما تقول : ضربت في الأرض مَضْرَباً بعيداً»[٨] ،[٩] : المسجد على هذا القول مصدر بمعنى السجود . وقال عطاء عن ابن عباس : «يريد مكة التي القبلة إليها»[١٠] .

وعلى هذا القول (المساجد) خاصة في مكة ، وسميت بذلك ؛ لأن كل أحد يسجد إليها .

---

(١) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٢) معاني القرآن ٣/ ١٩٤ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٤) الكشف والبيان ١٢/ ١٩٥/ ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٠٤ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣ ، وزاد المسير ٨/ ١٠٨ ، والتفسير الكبير ٣٠/ ١٦٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٩ ، وفتح القدير ٥/ ٣٠٩ .

(٥) في (أ) : (السجود) .

(٦) انظر : التفسير الكبير ٣٠/ ١٦٢ .

(٧) الكشف والبيان ١٢/ ١٩٦/ أ ، والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ٢٠ .

(٨) تأويل مشكل القرآن ٤٣٣ بتصرف يسير ، وانظر : تفسير غريب القرآن ٤٩١ .

(٩) في (أ) : (المصدر) ، وهي كلمة زائدة في معنى الكلام أثبتت سهواً .

(١٠) التفسير الكبير ٣٠/ ١٦٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ٢٠ .

وواحد المساجد على الأقوال كلها مَسْجَد بفتح الجيم ، إلا قول من يقول إنها المواضع التي بنيت للصلاة ، فإن واحدَها مسجِد بكسر الجيم ؛ لأن المواضع ، والمصادر من هذا الباب بفتح العين ، إلا في أحرف معدودة ، وهي : المسْجِد ، والمَطْلِع ، والمَنسِك ، والمَنْبِت ، والمَفْرِق ، والمَسْقِط ، والمَجْزِر ، والمَحْشِر ، والمَشْرِق ، والمَغْرِب . وقد جاء في بعضها الفتح ، وهو : المنسك ، والمسكن ، والمفرق ، والمطلع . وهو جائز في كلها ، وإن لم تسمع[1] .

ثم رجع إلى الخبر عن مؤمني الجن :

١٩. قوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾[2] (يجوز فيه[3] : (وأنه) الفتح بالحمل على (أوحي إليَّ) ، والكسر بالقطع من قوله : (أوحي) والاستئناف)[4] .

(١) ما بين القوسين انظر فيه : كتاب الجمل في النحو للزَّجَّاجي ٣٨٨ : باب اشتقاق اسم المكان والمصدر .

(٢) كلمة (يدعوه) ساقطة من (ع) .

(٣) في (ع) : (في) .

(٤) ما بين القوسين نقله الإمام الواحدي عن الحجة ٦/ ٣٣٢ بتصرف .

وقولــه : ﴿ عَبْدُ ٱللَّهِ ﴾ يعني النبي ﷺ في قول الجميع[١] ، قالوا ذلك حين كان يصلي ببطن مكة[٢] ويقرأ القرآن[٣] .

وقوله : ﴿ يَدْعُوهُ ﴾ ؛ أي يعبدوه .

﴿ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ كادوا يركبونَهُ حرصاً على القرآن ، وحبّاً لاستماعه . قاله الكلبي[٤] ، (ومقاتل[٥])[٦] .

واختار الفرَّاء : «كادوا يركبون النبي ﷺ رغبة في القرآن وشهوة له»[٧] .

وقال الزَّجَّاج : «كادوا الجن الذين سمعوا القرآن ، وتعجبوا منه أن يسقطوا على النبي ﷺ»[٨] .

---

(١) وهو قول ابن عباس ، والزبير بن العوام ، والضحاك ، وقتادة ، والحسن .
انظــر : جامع البيان ٢٩/ ١١٨ ، ١١٩ ، والدر المنثور ٨/ ٣٠٧ ، ٣٠٨ من غير ذكر الضحاك ، وعزاه إلى ابن جرير ، وابن مردويه ، وابن أبي حاتم ، وابن المنذر ، وعبد بن حميد .
وممن قال بذلك أيضاً من المفسرين ابن قتيبة في تأويل مشــكل القرآن ٤٣٣ ، والفرَّاء في معاني القرآن ٣/ ١٩٤ ، والزَّجَّاج في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٣٧ ، والثعلبي في الكشف والبيان ١٢/ ١٩٦/ ب ، والماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٢٠ .
وانظر أيضاً : معالم التنزيل ٤/ ٤٠٤ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٣ ، وزاد المســير ٨/ ١٠٨ ، والتفســير الكبير ٣٠/ ١٦٣ ، والجامع لأحــكام القرآن ١٩/ ٢٢ ، ولباب التأويــل ٤/ ٣١٨ ، والبحر المحيط ٨/ ٣٥٢ .

(٢) في (ع) : (نخلة) .
وبطن نخلة : قرية قريبة من المدينة على طريق البصرة . معجم البلدان ١/ ٤٤٩ .

(٣) انظر في : الكشف والبيان ١٢/ ١٩٦/ ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٠٤ ، ولباب التأويل ٤/ ٣١٨ .

(٤) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٥) تفسير مقاتل ٢١٢/ أ .

(٦) ساقط من (ع) .

(٧) معاني القرآن ٣/ ١٩٤ بنصه .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٣٧ بتصرف يسير جدّاً .

وقال ابن قتيبة : «يعني الجن كانوا[١] يتراكبون رغبة في ما سمعوا»[٢] .

ومعنى قوله : ﴿لِبَدًا﴾ قال أبو عبيدة : (أي جماعات ، واحدها[٣] (لبدة) . قال : وكذلك يقال للجراد الكثير» ، وأنشد لعبد مناف بن ربع (الهذلي)[٤] :

صابوا[٥] بستةِ أبْياتٍ وأرْبَعَةٍ حتى كأنَّ عَلَيهِم جَابِياً لِبَدَا[٦]

قال : الجابي : الجراد ؛ لأنه يجبي[٧] كل شيء يأكله)[٨] .

قال أبو إسحاق : (معنى ﴿لِبَدًا﴾ يعني[٩] : يركب بعضهم بعضاً ، وكل شيء ألصقته بشيء إلصاقاً شديداً فقد لبَّدته ، ومن هذا اشتقاق هذه اللبود التي تفرش ،

---

(١) غير واضحة في (ع) .

(٢) تأويل مشكل القرآن ٢٣٣ بتصرف يسير ، وانظر : تفسير غريب القرآن ١٩١ .

(٣) في (أ) : (واحدتها) .

(٤) ساقط من (أ) .

(٥) في (أ) : (كانوا) .

(٦) ورد البيت منسوباً في ديوان الهذليين ٢/ ٤٠ ، ومادة (جبي) من كتب اللغة : لسان العرب ١٤/ ١٣١ ، وتاج العروس ١٠/ ٦٦ ، وانظر أيضاً : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٧٢ ، وجامع البيان ٢٩/ ١١٣ ، والمحرر ٥/ ٣٨٤ ، والبحر المحيط ٨/ ٣٥٣ ، والكشاف ٢٩/ ٩٣ .
ومعنى البيت : صابوا ؛ أي وقعوا ، وقوله : حتى كأن عليهم جابياً لبداً . يقال : إن الجابي الجراد نفسه ، واللّبد : المتركب بعضه على بعض . ديوان الهذليين : المرجع السابق .

(٧) غير واضحة في (ع) .

(٨) ما بين القوسين من قول أبي عبيدة . انظر : مجاز القرآن ٢/ ٢٧٢ ، ولعل الواحدي نقله عن الحجة ٦/ ٣٣٣ .

(٩) ساقط من (ع) .

وهـو جمع (لِبْدَة) ، ومن ضم اللام[١] فهو جمع (لُبْـدَة) ، و(لِبْدَة)[٢] ، و(لُبْدَة) في معنى واحد)[٣] .

ونحو هذا قال الفرَّاء في اللُّبد ، واللِّبد[٤] .

وقال الكسائي : «لبداً : ركاماً ، جمعُ لبدة»[٥] .

وقال أبو علي الفارسي : (اللُّبَدُ بضم اللام الكثير من قوله : ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ [البلـد :٦] ، وكأنه قيل لـه : (لُبَد)[٦] لركوب بعضه على بعـض لكثرته ، ولُصوق بعضـه ببعض ، وكأنـه أراد : كادوا[٧] يَلْصقون به من شـدة دنوهم للإصغاء ، والاستماع مع كثرتهم ، وهذا قريب المعنى من القراءة الأولى ؛ إلَّا أن (لِبَداً) بكسر اللام أعرف لهذا المعنى وأكثر)[٨] .

---

(١) قرأ هشـام بن عمار عن ابن عامر : (لُبَداً) بضم اللام ، وقرأ ابن ذكـوان عن ابن عامر : (لِبداً) بكسر اللام ، وكذلك الباقون . انظر : كتاب السـبعة ٦٥٦ ، والقراءات وعلـل النحويين فيها ٢/ ٧٢١ ، والحجة ٦/ ٣٣٣ ، وحجة القراءات ٧٢٩ ، والكشـف عن وجوه القراءات السبع ٢/ ٣٤٢ ، والنشر ٣٩٢ .

(٢) ساقطة من (أ) .

(٣) ما بين القوسين من قول أبي إسحاق في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٣٧ بتصرف .

(٤) معـاني القرآن ٣/ ١٩٤ ، وعبارته : « . . وقرأ بعضهم : (لُبُـدا) ، والمعنى فيهما ـ والله أعلم ـ واحد ، يقال : لُبَدة ، ولِبدَةٌ» .

(٥) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٦) وردت في الحجة ٦/ ٣٣٤ : (لُبَّداً) .

(٧) في (أ) : (كانوا) .

(٨) ما بين القوسين من قول أبي علي الفارسي نقله الإمام الواحدي عنه بتصرف يسير من الحجة ٦/ ٣٣٤ .

وقال المبرِّد : «اللُّبَد : الجماعات ، واحدها : (لبدة) ، وأصله ما وقع بعضه على بعض[١] ، ويقال للأسد : ذو لِبدة لما يتلبد من الشعر بين كتفيه[٢] . ومنه قول زهير :

له لِبَدٌ أظْفَارُهُ لم تُقَلَّمِ[٣]

قال[٤] : «وقال : (لُبَدٌ) كثير ، و (لُبَدٌ) واحد ليس جمعاً لشيء ، كقوله : رجلٌ حُطَمٌ»[٥] .

وفي الآية قولان آخران ، أحدهما : (إن هذا من قول الجن لما رَجَعوا إلى قومهم ، أخبروهم بما رأوا من طاعة أصحاب رسول الله ﷺ وائتمامهم به في الركوع والسجود ، واقتدائهم به في الصلاة .

---

(١) «اللام والباء والدال أصل كلمة صحيحة تدل على تكرُّس الشيء بعضه فوق بعض ، من ذلك : اللِّبْد ، وهو معروف ، وتَلَبَّدت الأرضُ ، ولبَّدها المطر ، وصار الناس عليه لُبَداً إذا تجمعوا عليه» . قاله ابن فارس . انظر : معجم مقاييس اللغة (لبد) ٥/ ٢٢٨ ، ٢٢٩ .
وجاء في اللسان (لبد) ٣/ ٣٨٥_٣٨٧ : «لَبَد بالمكان يَلْبُدُ لُبوداً ، ولَبَدَ لَبَداً وألبد : أقام به ولزق ، فهو مُلبِدٌ به ، ولَبَدَ الشيءُ بالشيء يَلْبُدُ إذا ركب بعضه بعضاً ، ومال لُبَد : كثير لا يخاف فناؤه ، كأنه التبد بعضه على بعض ، واللِّبدة واللُّبدة : الجماعة من الناس يقيمون ، وسائرهم يظعنون كأنهم بتجمعهم تلبدوا» . وانظر : تاج العروس (لبد) ٢/ ٤٩١ .

(٢) الكامل ١/ ٣٤١ والعبارة عنه قال : «لِبْدَة الأسد : ما يتطارق مع شعره بين كتفيه ، ويقال : أسد ذو لِبْدَة ، وذو لَبد» ، وقد أورد الثعلبي بمعناه من غير عزو في الكشف والبيان ١٢/ ١٩٦/ ب .

(٣) ديوانه ٨٤ (دار بيروت) ، والبيت كاملاً :
لدى أسد شاكي السلاح مُقذَّفٍ له لبد أظفاره لم تقلم
ومعناه : شاكي السلاح ؛ أي سلاحه ذو شوكة . المقذف : الغليظ اللحم .
اللِّبَد : الشعر المتراكب على زبرة الأسد . أظافره لم تقلم ؛ أي هو تام السلاح . حديده : يريد الجيش .
شرح شعر زهير بن أبي سلمى لأبي العباس ثعلب ، (تحقيق : فخر الدين قباوة) ٣٠ .

(٤) أي المبرِّد .

(٥) الكامل ٣/ ١٢٣٠ بنحوه ، وكذا في المقتضب ٣/ ٣٢٣ .

وهو قول سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «لما رأوه يصلي وأصحابه يصلون بصلاته، ويسجدون بسجوده، تعجبوا من طواعية أصحابه له ﷺ، فقالوا لقومهم: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ الآية»[١].

الثاني: قول قتادة، قال: «لما قام عبدالله بالدعوة تلبدت[٢] الإنس والجن، وتظاهروا عليه ليبطلوا الحق الذي جاء به، ويطفئوا نور الله، فأبى الله إلا أن ينصره[٣] ويظهره على من ناوأه»[٤][٥]، (وهذا قول الحسن[٦]، وابن زيد[٧])[٨].

---

(١) ورد قوله في جامع البيان ٢٩/ ١١٨، والكشف والبيان ١٢/ ١٩٦/ ب، والنكت والعيون ٦/ ١٢٠، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٠٤، وزاد المسير ٨/ ١٠٩، والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ٢٢، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٦١، والدر ٨/ ٣٠٧ وعزاه إلى عبد بن حميد، والترمذي، والحاكم، وصححاه، وابن جرير، وابن مردويه، والضياء في المختارة، وفتح القدير ٥/ ٣١٤.
انظر: سنن الترمذي ٥/ ٤٢٧: ح ٣٣٢٣، كتاب التفسير، باب ومن سورة الجن، وقال عنه: حديث حسن صحيح، والمستدرك ٢/ ٥٠٤، كتاب تفسير سورة الجن، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٢) في (أ): (لبدت).

(٣) غير واضحة في (ع).

(٤) ناوأه: النَّوْء، والمناوأة: المعاداة، وناوأت الرَّجُلَ مناوأةً ونِواءً: فاخرْتُه، وعادَيْتُهُ. لسان العرب (نوأ) ١/ ١٧٨.

(٥) انظر قوله في: تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٢٣، وجامع البيان ٢٩/ ١١٨ بنحوه، والكشف والبيان ١٢/ ١٩٦/ ب، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٠٤، وزاد المسير ٨/ ١٠٩، والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ٢٢، والبحر المحيط ٨/ ٣٥٢، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٦١، والدر المنثور ٨/ ٣٠٨ وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر، وفتح القدير ٥/ ٣٠٩، وانظر: الحجة ٦/ ٣٣٤.

(٦) المراجع السابقة.

(٧) المراجع السابقة عدا تفسير عبدالرزاق.

(٨) ما بين القوسين نقله الإمام الواحدي عن ابن جرير ٢٩/ ١١٨، ١١٩ مختصراً.

٢٠. قولـــه تعالى : ﴿ قُلْ[١] إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي ﴾[٢] . قال محمد ﷺ : إنما أدعو ربي ، وقراءة العامة : (قال)[٣] إنما أدعو ربي[٤] .

وقرأ عاصم ، وحمزة : ﴿ قُلْ ﴾ على الأمـــر[٥] ؛ لقوله بعده : ﴿ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا ﴾[٦] .

(﴿ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي ﴾ . قال مقاتل : «إن كفار مكة قالوا للنبي ﷺ : إنك جئت بأمر عظيم لم نسمع مثله ، وقد عاد الناس كلهم ، فارجع عن هذا . فأنزل الله : (قل إنما أدعو ربى)»[٧] ، وهذا حجة لعاصم وحمـــزة . ومن قرأ : (قال) حمل هذا على أن النبي ﷺ أجابهم هذا لما قالوا له : جئت بأمر عظيم ، قال : إنما أدعو ربي)[٨] .

٢١. (قولـــه : ﴿ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ . قال مقاتل : وذلك حين اســـتعجلوا العذاب ، يقول : (إني لا أملك لكم ضرّاً))[٩] : لا أقدر أن

---

(١) وردت في النسختين : (أ) و(ع) : (قال) .

(٢) قوله : (إنما أدعو ربي) ساقط من (أ) .

(٣) (قال) : سقطت من النسختين ، وأثبت ما دلت عليه كتب القراءات المتواترة .

(٤) وهم نافع ، وابن كثير ، وابن عامر ، وأبو عمرو ، والكسائي ، ويعقوب .
انظر : كتاب الســـبعة : ص ٦٥٧ ، والقراءات وعلل النحويين ٢/ ٧٢١ ، والحجة ٦/ ٣٣٣ ، وكتاب التبصرة ٧١٢ ، وتحبير التيســـير في قراءات الأئمة العـــشرة ١٩٣ ، والبدور الزاهرة ٣٢٨ ، والوافي في شرح الشاطبية ٣٧٤ .

(٥) القراءات وعلل النحويين فيها ٢/ ٧٢١ ، والحجة ٦/ ٣٣٣ ، وكتاب التبصرة ٧١٢ ، وتحبير التيســـير ١٩٣ ، والبدور الزاهرة ٣٢٨ ، والوافي في شرح الشـــاطبية ٣٧٤ ، ولعل الواحدي نقل القراءتين من الحجة ٦/ ٣٣٣ .

(٦) انظر : الحجة ، وحجة القراءات : مرجعان سابقان ، وانظر : الكشف والبيان ١٢/ ٢٤١/ ب ، وقوله (لكم ضراً) ساقط من (ع) .

(٧) تفسير مقاتل ٢١٢/ أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٠٥ بنحوه ، وزاد المسير ٨/ ١١٩ بنحوه ، والتفسير الكبير ٣٠/ ٦٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٩/ ٢٣ ، ٢٤ .

(٨) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٩) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

أدفع عنكم ضرّاً ، ولا أسوق إليكم رشداً ؛ أي خيراً ، والله يملك ذلك[١] .

٢٢. (قوله تعالى)[٢] : ﴿ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ ﴾ . قال ابن عباس : «يريد : إنْ عصيته لم يمنعني منه أحد»[٣][٤] .

(قال مقاتل[٥])[٦] : «وذلك أنهم قالوا : اترك ما تدعو إليه ، ونحن نجيرك»[٧] .

وقوله : ﴿ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ . قال ابن عباس : «يريد أحد ألجأ إليه»[٨] . وقال قتادة : «ملجأ وحرزاً»[٩] .

وقال الكلبي : «الملتحد : المدخل في الأرض مثل السرب[١٠] الذاهب في الأرض»[١١] .

---

(١) تفسير مقاتل ٢١٢/ ب .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٥) ورد بمثله من غير عزو في الوسيط ٤/ ٣٦٨ .

(٦) ساقط من (أ) .

(٧) تفسير مقاتل ٢١٢/ أ ، والتفسير الكبير ٣٠/ ١٦٤ .

(٨) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٩) تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٢٣ ، وجامع البيان ٢٩/ ١٢٠ بمعناه ، والنكت والعيون ٦/ ١٢١ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٦١ بنحوه .

(١٠) السَّرَب بفتحتين : بيت في الأرض لا منفذ له ، وهو الوكر .
انظر : مختار الصحاح (سرب) ١٩٣ ، والمصباح المنير ١/ ٣٢٢ .

(١١) الكشف والبيان ١٢/ ١٩٧/ أ ، وعبارة : (الذاهب في الأرض) لعلها من تفسير الواحدي لمعنى السرب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٠٥ ، والتفسير الكبير ٣٠/ ١٦٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ٢٤ ، وفتح القدير ٥/ ٣١٠ .

قال أبو إسحاق : «اشتقاق الملتحد من اللحد ، والملتحد من جنس (الأرض)[١] : المدخل»[٢] . وقال الفرَّاء : «أي ملجأ ولا سرباً»[٣] .

وقال ابن قتيبة : «أي معدلاً ومميلاً»[٤] .

وقال المبِّرد : «ملتحداً : مثل قولك : منعرجاً ، والْتَحَد معناه في اللغة : مال»[٥] .

٢٣. وقوله : ﴿ إِلَّا بَلَٰغًا ﴾ . قال أبو إسحاق : «نصب على البدل من قوله : (ملتحداً) . المعنى : ولن أجد من دونه منجىً (إلا بلاغاً) ؛ أي لا ينجيني إلا أن أبلغ عن الله -عز وجل- ما أرسلت به»[٦] .

وقال الفرَّاء : «(إلا بلاغاً) يكون استثناء من قوله : لا أملك لكم ضرّاً ولا رشداً إلا أن أبلغكم ما أرسلت به»[٧] .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٣٧ بتصرف .

(٣) معاني القرآن ٣/ ١٩٥ مختصراً .

(٤) تفسير غريب القرآن ٤٩٢ ، وقد ورد عنه : (موئلاً) بدلاً من : (حميلاً) .

(٥) جاء بهذا المعنى عن المبرِّد في حاشية كتابه الكامل ٣/ ١٢٢٤ رقم ٦ نقلاً عن نسخة : (أ) ، والعبارة عنه : «ابن شاذان : ألحَدَ الرجل إلْحاداً : إذا مال ، فهو مُلْحِدٌ : إذا مال عن القصد» . وانظر قوله أيضاً في : التفسير الكبير ٣٠/ ١٦٤ .
ومعنى (ملتحداً) لغة : الملجأ ؛ لأن اللاجئ يميل إليه . انظر : الصحاح (لحد) ٢/ ٥٣٥ ، والقاموس المحيط ١/ ٣٣٥ .
وقال ابن عاشور : «الملتحد اسم مكان الالتحاد ، والالتحاد : المبالغة في اللحد ، وهو العدول إلى مكان غير الذي هو فيه ، والأكثر أن يطلق ذلك اللجأ ؛ أي العياذ بمكان يعصمه» . تفسير التحرير والتنوير ٢٩/ ٢٤٤ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٣٧ بتصرف يسير جدّاً .

(٧) معاني القرآن ٣/ ١٩٥ بنصه .

والقولان[١] يبنيان على قول المفسرين .

قال مقاتل : «ثم استثنى : (إلا بلاغاً من الله ورسالاته) فذلك الذي يُجيرني من عذابه ؛ أي التبليغ»[٢] .

وقال قتادة : «(إلا بلاغاً من الله) فذلك الذي أملكه بعون الله وتوفيقه ، وأما الكفر والإيمان ، فلا أملكهما»[٣] .

وقوله[٤] : ﴿ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ﴾ عطف على قوله : ﴿ بَلَٰغًا ﴾[٥] .

وقوله : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ . قال الكلبي[٦] ، ومقاتل[٧] : «في التوحيد ، فلا يؤمن به» .

---

(١) هناك أوجه أخرى لإعراب : (إلا بلاغاً) انظر : الدر المصون ٦/ ٣٩٧ .

(٢) تفسير مقاتل ٢١٢/ ب ، والنكت والعيون ٦/ ١٢١ بمعناه ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٠٥ ، وزاد المسير ٨/ ١١٠ ، وفتح القدير ٥/ ٣١٠ .

(٣) جامع البيان ٢٩/ ١٢١ بمعناه ، والكشف والبيان ١٢/ ١٩٧/ أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٠٥ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ٢٥ ، والبحر المحيط ٨/ ٣٥٤ ، والدر المنثور ٨/ ٣٠٨ ، وعزاه إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وفتح القدير ٥/ ٣١٠ .

(٤) في (أ) : (قوله) .

(٥) قال الزمخشري : «(رسالاته) عطف على (بلاغاً) كأنه قيل : لا أملك لكم إلا التبليغ» . الكشاف ٤/ ١٤٩ . وذكر السمين الحلبي أيضاً وجهاً آخر ، قال : «والثاني : أنها مجرورة نسقاً على الجلالة ، أي إلا بلاغاً عن الله وعن رسالاته» . الدر المصون ٦/ ٣٩٨ .

(٦) تفسير مقاتل ٢١٢/ ب ، وقد ورد في الوسيط من غير عزو ٤/ ٣٨٦ .

(٧) تفسير مقاتل ٢١٢/ ب ، وقد ورد في الوسيط من غير عزو ٤/ ٣٨٦ .

وقولـه[١] : ﴿ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾ (فإن) مكسـورة الهمزة ؛ لأن ما بعد (فاء الجزاء موضع الابتداء ، ولذلك حمل سـيبويه قولـه : ﴿ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ﴾ [المائـدة :٩٥] ، ﴿ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ ﴾ [البقـرة :١٢٦] ، ﴿ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ ﴾ على أن المبتدأ فيها مضمر[٢] .

وانقطع هذا الكلام عند قوله : ﴿ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ ، ثم قال :

٢٤ـ٢٥ . ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ ﴾ (حتى) هاهنا مبتدأة كقوله :

وحَتَّى الجِيادُ مَا يُقدْنَ بأرْسَانِ[٣]

---

(١) في (أ) : (قواه) .

(٢) انظر : كتاب سيبويه ٣/ ٦٩ .

(٣) هذا عجز بيت لامرئ القيس ، والبيت كاملاً :

مَطَـوْتُ بهـم حَتَّى تَكِـلّ مَطِيُّهُـمْ وحَتَّى الجِيـادُ مـا يُـقَـدْنَ بـأرْسَـانِ

وقد ورد البيت منسـوباً له في ديوانه ١٧٥ (ط دار صادر) ، وكتاب سـيبويه ٣/ ٢٧ ، ٦٢٦ ، وكتاب شرح أبيات سيبويه للنحاس ١٥٨ ش ٥٦٦ ، والمقتضب ٢/ ٤٠ .

وورد غير منسوب في المخصص ١٤/ ٦١ .

ومعنى البيت : أي هو يسري بأصحابه غازياً إلى أن تكل مطاياهم ، وأما الخيل فإنها تجهد وتنقطع ، فلا يجدي فيها أن تقاد بالأرسان ، وكانوا يركبون المطي ويقودون الخيل .

والأرسان : جمع رَسَن بالتحريك ، وهو الحبل والزمام يجعل على الأنف .

والشاهد فيه : أن (حتى) الأولى عاملة ، والثانية غير عاملة ؛ لأنها استئنافية .

انظر : حاشية ٣ كتاب سيبويه ٣/ ٢٧ ، وانظر : الشاهد في كتاب سيبويه .

وذكرنا ذلك عند قوله : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ ﴾[١] ، وهو كثير في القرآن[٢] .

قال ابن عباس : «يريد يوم القيامة»[٣] .

وقال مقاتل : «ما يوعدون من عذاب الآخرة ، أو ما يوعدون من العذاب في الدنيا ، يعني القتل ببدر ، فسيعلمون عند نزول العذاب»[٤] .

﴿ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا ﴾ أهم ، أم المؤمنون ؟

﴿ وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴾ قال[٥] : يعني جنداً ، ونظير هذه الآية قوله في مريم : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ ﴾ [مريم :٧٥] الآية .

وقال عطاء في قوله : «(وأقل عدداً) : هو أن الله تعالى (يجعل)[٦] لأوليائه من الأزواج الآدميات ، والحور العين أُلُوفاً ، ومن الولدان المخلدين ألوفاً ، ومن

---

(١) سورة يوسف : ١١٠ ، والآية بتمامها : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾

ومما جاء في تفسيره :قال الواحدي : (فـ(حتى) هاهنا حرف من حروف الابتداء يستأنف بعدها ، كما يستأنف بعد(أما) ، و(إذا) ، وذلك أن (حتى) لها ثلاثة أحوال : إما أن تكون جارة أو عاطفة ، وحيث تنصب الفعل إنما تنصه بإضمار (إن) ، ومما جاء فيه (حتى) حرف مبتدأ قوله :

وحتى الجياد ما يقدن بأرسان ألا ترى أنها ليست عاطفة لدخول حرف العطف عليها ! ولا جارة لارتفاع الاسم بعدها) .

(٢) نحو ما جاء في سورة الأعراف الآية ٣٧ قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ ﴾ الآية . وأيضاً الآية ٣٨ من سورة الأعراف قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا ﴾ الآية . والآية ١٨ من سورة النمل قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ ﴾ الآية .

(٣) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٤) تفسير مقاتل ٢١٢/ ب .

(٥) ساقط من (أ) .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

القهارمة[١] ألوفاً ، فعند ذلك عدد المؤمن الواحد أكثر من عدد كثير من أهل مدائن الدنيا ، والكافر لا عدد له إلا قرناء الشياطين»[٢] .

قال مقاتل : «فلما سمعوا هذا قال النضر بن الحارث وغيره : متى هذا الذي توعد ؟ فأنزل الله : ﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴾ »[٣] من العذاب في الدنيا .

وقال عطاء : «يريد أنه لا يعرف يوم القيامة إلا الله وحده»[٤] .

﴿ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴾ ؛ أي غاية وبعداً . قاله أبو عبيدة[٥] ، والزَّجَّاج[٦] .

وقال مقاتل : «يعني أجلاً بعيداً[٧] ، وهذا كقوله : ﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴾ [الجن :٢٥]» .

٢٦. ثم ذكر أن علم وقت العذاب غيب ، والغيب لا يعلمه إلا الله ، وهو قوله : ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ ﴾ ؛ أي ما غاب عن العباد ﴿ فَلَا يُظْهِرُ ﴾ فلا[٨] يطلع ﴿ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ ﴾ ؛ أي على الغيب الذي يعلمه هو ، وينفرد بعلمه ، أحداً من الناس .

---

(١) القهارمة : قال الليث : «القَهْرَمان : هو المسيطر الحفيظ على ما تحت يديه» .
تهذيب اللغة (قهرم) ٦/ ٥٠٢ .
والقهرمان : لفظة فارسية معناه : الوكيل ، أو أمين الدخل والخرج ، جمعه : قهارمة .
انظر : الوافي ، ومعجم وسيط للغة العربية لعبدالله البستاني ٥٢٣ .

(٢) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٣) تفسير مقاتل ٢١٢/ ب ، والتفسير الكبير ٣٠/ ١٦٧ .

(٤) الوسيط ٤/ ٣٦٩ .

(٥) لم أعثر على قوله هذا في مجاز القرآن .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٣٧ ، قال : «أي بُعْداً ، كما قال : ﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴾ [الجن :٢٥]» .

(٧) تفسير مقاتل ٢١٢/ ب .

(٨) في (أ) : (ولا) .

٢٧. ثم استثنى فقال: ﴿ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾. قال أبو إسحاق: «معناه: أنه لا يظهر على غيبه إلا الرُّسُلَ؛ لأن الرسل يستدل على نبوتهم بالآية المعجزة، وبأن[١] يخبر[٢] بالغيب، فيعلم بذلك أنهم قد خالفوا غير الأنبياء»[٣].

وقال مقاتل: «﴿ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾؛ أي ارتضاه للنبوة[٤] والرسالة، فإنه[٥] يطلعه على ما يشاء من غيبه»[٦].

وفي هذا دليل على أن من ادعى أن النجوم تدله على [ما يكون من حادث فقد كفر بما في القرآن، ثم ذكر أنه يحفظ][٧] ذلك الذي يطلع عليه الرسول.

﴿ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴾[٨]؛ (أي يجعل بين يديه وخلفه رصداً من الملائكة يحوطون الوحْيَ من أن تَسْتَرِقه الشياطين، فتُلْقِيَه إلى الكَهَنَة، حتى[٩] تخبر به الكهنة إخبار الأنبياء، فيساووا[١٠] الأنبياء، ولا يكون بينهم وبين الأنبياء فرق)[١١].

---

(١) في (أ): (أن).

(٢) بياض في (ع).

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٣٧ بتصرف يسير جدّاً.

(٤) قوله: (ارتضاه للنبوة): بياض في (ع).

(٥) في (أ): (وإنه يسلك..).

(٦) لم أعثر على مصدر لقوله، وقد ورد من غير عزو في الوسيط ٤/ ٣٦٩.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من النسختين، وأثبت ما ورد من الوسيط ٤/ ٣٦٩ لاستقامة المعنى به وانتظامه.

(٨) في (أ): (بأنه).

(٩) قوله: (إلى الكهنة): بياض في (ع).

(١٠) في (أ): (فيساوا).

(١١) ما بين القوسين من قول ابن قتيبة، نقله عنه الواحدي بتصرف يسير، وبزيادة عبارة: (فيساووا الأنبياء)، وحذف: (ولا يكون للأنبياء دلالة). انظر: تأويل مشكل القرآن ٤٣٤.

فالرصد من الملائكة يدفعون الجن أن يستمع ما ينزل من الوحي . ذكره الزَّجَّاج[١] ، وابن قتيبة[٢] ، (وهو معنى قول المفسرين)[٣] .

قال الكلبي : «يجعل من بين يديه حرساً من الملائكة يدحرون الشياطين عنه فلا يقربونه»[٤] .

وقال الفرَّاء : «ذكروا أن جبريل كان إذا نزل بالوحي نزلت معه الملائكة من كل سماء يحفظونه من استماع الجن يسترقونه فيلقونه[٥] إلى كهنتهم ، فيسبقوا به الرسل»[٦] .

ومعنى : (يسلك) هاهنا : يدخلهم الأرض فنجعلهم بين يدي الرسول ومن خلفه[٧] .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٣٨ بمعناه .

(٢) تفسير غريب القرآن ٤٩٢ ، وانظر : تأويل مشكل القرآن ٤٣٤ .

(٣) ساقط من (أ) .

(٤) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٥) في (ع) : (فيلقونه) .

(٦) معاني القرآن ٣/ ١٩٦ نقله عنه بالمعنى .

(٧) ومعنى (سلك) لغة : السلك : الخيوط التي تخاط بها الثياب ، الواحدة : سِلكة ، والجميع : السُّلُوك ، والسَّلْك : إدخال الشيء يسلكه فيه كما يطعن الطاعن فيسلك الرمح فيه إذا طعنه تلقاء وجهه . تهذيب اللغة (سلك) ١٠/ ٦٢ ، وانظر : تأويل مشكل القرآن ٤٣٢ .

وذهب مقاتل[١] ، والضحاك[٢] إلى أن الرَّصد لكي يحرسوا الرسول من الشياطين أن يتشبهوا له في صورة المَلَك ، ويحفظوه[٣] منهم ، وإن أتاه شيطان في صورة ملك أخبروه ، والقول هو الأول[٤] .

٢٨. قوله تعالى[٥] : ﴿ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ ﴾[٦] الآية .

اختلفوا في قوله : (ليعلم) فقال قتادة[٧] ، . . . ومقاتل[٨] : «ليعلم محمد أن الرسل قبله قد أبلغوا الرسالة كما بلغ هو الرسالة» ، وعلى هذا (اللام) في قوله : (ليعلم) يتعلق بمحذوف يدل عليه الكلام ؛ كأنه قيل : أخبرناه بحفظنا الوحي ؛ ليعلم أن الرسل قبله كانوا على مثل حالته من التبليغ بالحق والصدق .

ويجوز أن يكون المعنى : ليعلم الرسول أن قد بلغوا ، إلى جبريل ، والملائكة الذين يبعثون إلى الرسل ، أبلغوا رسالات ربهم ، فلا يشك فيها ، ويعلم أنها حق من الله[٩] .

---

(١) تفسير مقاتل ٢١٢/ ب ، والكشف والبيان ١٢/ ١٩٧/ ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٠٦ .

(٢) جامع البيان ٢٩/ ١٢٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ٢٨ ، والبحر المحيط ٨/ ٣٥٥ ، والدر المنثور ٨/ ٣٠٩ ، ٣١٠ وعزاه إلى عبد بن حميد ، وابن جرير .

(٣) في (أ) : (يحفظونه) .

(٤) القول الأول هو قول الأكثرية من المفسرين ، والآيات السابقة من هذه السورة تدل على ذلك ، ولكن ما ذكره الضحاك ومقاتل أرى أنه يدخل في مفهوم الآية ، فهو من باب حفظ الوحي ، وذلك عن طريق حفظ الرسول من أن يتشبه بهما أحد . والله أعلم .

(٥) بياض في (ع) .

(٦) قوله (رسالات ربهم) ساقط من (ع) .

(٧) تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٢٣ ، وجامع البيان ٢٩/ ١٢٣ ، والنكت والعيون ٦/ ١٢٣ ، وزاد المسير ٨/ ١١٠ ، والتفسير الكبير ٣٠/ ١٧٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ٢٩ ، والدر المنثور ٨/ ٣١٠ وعزاه إلى عبد بن حميد .

(٨) التفسير الكبير ٣٠/ ١٧٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ٢٩ .

(٩) وهو معنى قول ابن عباس ، وابن جبير . انظر : جامع البيان ٢٩/ ٢٣ ، والنكت والعيون ٦/ ١٢٣ . وقال به ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ٤٩٢ ، والفرَّاء في معاني القرآن ٣/ ١٩٦ .

والمعنى : حفظنا الرسول من الشياطين ليعلم أن الذين أتوه أبلغوا رسالات ربهم ، وهذا تأكيد لقول الضحاك ومقاتل في الآية الأولى .

ويجوز أن يكون المعنى : ليعلم الرسل أنهم بلغوا رسالات ربهم على التحقيق من غير شك فيها ؛ إذ كانوا محروسين عن الشياطين ، فالذي يبلغونه[١] الخلق هو رسالات ربهم لا غير ، وهي واصلة إليهم ، ولم تصل إلى غيرهم .

وعلى هذا إنما قال : (أبلغوا) ؛ لأن المراد بقوله : ﴿ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ[٢] مِن رَّسُولٍ ﴾ الجمع ، ويدخل فيه كل رسول ارتضاه الله .

ويجوز أن يكون المعنى : ليعلم الله أن قد أبلغوا يعني الرسل . وهذا القول اختيار[٣] ابن قتيبة[٤] ، والزَّجَّاج[٥] ، وصاحب النظم .

قال ابن قتيبة : «أي ليبلّغوا رسالات ربهم (العلم) هاهنا ، مثله قوله : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ ﴾ [آل عمران :١٤٢] ؛ أي ولما تجاهدوا وتصبروا»[٦] ، فيعلم الله ذلك ظاهراً موجوداً يجب فيه ثوابكم على ما بَيَّنَّا في غير هذا الموضع[٧] .

---

(١) غير واضحة في (ع) .

(٢) قوله : (إلا من ارتضى) : بياض في (ع) .

(٣) بياض في (ع) .

(٤) تفسير غريب القرآن ٤٩٢ وعبارته : «ليعلم محمد أن الرسل قد بلغت عن الله ، وأن الله حفظها ، ودفع عنها ، وأحاط بها» .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٣٨ وعبارته : «ليعلم الله أن قد أبلغوا رسالاته» .

(٦) في (أ) : (تصابروا) .

(٧) إلى قوله : (على ما بينا في غير هذا الموضع) ينتهي قول ابن قتيبة . انظر : تأويل مشكل القرآن ٤٣٤ ، ويعني بغير هذا الموضع ؛ أي الموضع الذي بين فيه علم الله تعالى ، وأنه نوعان :
أحدهما : علم ما يكون من إيمان المؤمنين وكفر الكافرين ، وذنوب العاصين ، وطاعات المطيعين قبل أن تكون . قال : وهذا علم لا تجب به حجة ، ولا تقع عليه مثوبة ولا عقوبة . =

وقال أبو إسحاق : «وما بعد قوله : (ليعلم) يدل على صحة هذا[١] ، وهو قوله : (أحاط)[٢] ، و(أحصى)[٣] ، والضمير فيهما لله -عز وجل- لا لغيره ، فكذلك[٤] في (ليعلم)»[٥] .

وهذه الأقوال ذكرها أهل المعاني والتفسير ، وذكرت أقوال بعيدة لم أَحْكِها[٦] .

ومعنى : ﴿ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ ﴾ علم الله ما عند الرسل ، فلم يَخف عليه شيء .

= والآخر : علم هذه الأمور ظاهرة موجودة ، فيحق القول ، ويقع بوقوعها الجزاء ، فأراد جل وعز : ما سلطناه عليهم إلا لنعلم إيمان المؤمنين ظاهراً موجوداً ، وكفر الكافرين ظاهراً موجوداً ، وكذلك قوله سبحانه : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ﴾ الآية : [آل عمران :١٤٢] . تأويل مشكل القرآن ٣١١ ، ٣١٢ .

(١) بياض في (ع) .

(٢) قوله تعالى : ﴿ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ ﴾ .

(٣) قوله تعالى : ﴿ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ .

(٤) في (أ) : (كذلك) .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٣٨ بتصرف .

(٦) في (أ) : (أحكمها) .

ومن هذه الأقوال التي أشار إليها : «ليعلم من كذب الرسل أنهم قد أبلغوا رسالات ربهم» . قاله مجاهد .

انظر : جامع البيان ٢٩/ ١٢٣ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٥ ، وزاد المسير ٨/ ١١٠ .

وأيضاً : «ليعلم الجن أن الرسل قد بلغوا ما أنزل الله عليهم ولم يكونوا هم المبلغين باستراق السمع عليهم» . النكت والعيون ٦/ ١٢٣ .

وأيضاً : «ليعلم إبليس أن الرسل قد أبلغوا رسالات ربهم سليمة من تخليصه ، واستراق أصحابه» . الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ٢٩

(قوله تعالى)[١] : ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ . قال ابن عباس : «أحصى ما خلق ، وعرف عـدد ما خلق ، لم يفته علم شيء ، ولم يعـزب[٢] عنه عدد ما خلق ؛ حتى مثاقيل[٣] الذَّرِّ[٤] . . . والخردل»[٥][٦] .

قال أبو إسـحاق : «ونصب (عـدداً) على ضربين ؛ أحدهمـا : على معنى : وأحصى كل شيء في حال العَدَد ، فلم تَخْفَ عليه سقوط ورقة ، ولا حبة في ظلمات الأرض ، ولا رطب ، ولا يابس . قال : ويجوز أن يكون (عدداً) في موضع المصدر المحمول على معنى : أحصى ؛ لأن معنى وأحصى : وعد كل شيء عدداً»[٧] .

(والله أعلم بالصواب)[٨] .

* * *

(١) ساقط من (ع) .

(٢) يعزب : يراد به البعد . انظر : لسان العرب (عزب) ١/ ٥٩٧ ، القاموس المحيط ١/ ١٠٤ .

(٣) مثاقيل : جمع مثقال ، أي وزن . المصباح المنير (ثقل) ١/ ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٤) الذر : هو النمل الأحمر الصغـير ، واحدتها ذرة . النهاية في غريب الحديث ٢/ ١٥٧ ، والمصباح المنير (ذر) ١/ ٢٤٦ .

(٥) الخردل : حب شجر مسخن مُلطف جاذب ، قالع للبلغم ، ملين ، هاضم ، والخردل الفارسي : نبات بمصر يُعرف بحشيشة السلطان . القاموس المحيط (خردل) ٣/ ٣٦٧ .

(٦) معالم التنزيل ٤/ ٤٠٦ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٢٠ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٣٨ نقله عنه بنصه .

(٨) ما بين القوسين ساقط من (ع) .